التراث الأرثوذكسي

ISSN 1814-7038

السنة التاسعة عشرة، العدد العاشر، تموز ٢٠٢٣

مختارات آبائية

القديس لوقا أسقف سيمفروبول وسائر القرم، عبيد الخطيئة وعبيد البِرّ

حياة روحية / كتاب مقدس / لاهوت

سوتيريوس، ميتروبوليت بيسيديا، عظة حول رسالة الأحد السابع بعد العنصرة

المتقدم في الكهنة أندرو ليميشونوك، كيف تغيّر نفسك؟

الميتروبوليت فيلاريت فوزنسنسكي، اللاهوت الأخلاقي – الفصل السادس: مسؤوليات الإنسان

د. جايني كونستانتينو، فهم الكتاب المقدس من خلال الآباء

د. جورج د. باناغوبولوس، الإيمان والأعمال

الأرشمندريت جورج كابسانيس، المسيح والمجتمع الإنسانوي

الخورية سميرة عوض ملكي، التلمذة ليسوع

أسرة التراث الأرثوذكسي، عن أحد جميع القديسين

عبيد الخطيئة وعبيد البِرّ

القديس لوقا أسقف سيمفروبول وسائر القرم

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

قال يسوع المسيح: "مَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضِيعُهَا، وَمَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا. "(متى ١٠:٣٩). لفهم هذه الكلمات، عليك أن تعرف ما هي الروح البشرية. الروح ليست سوى مجموعة من الأفكار والمفاهيم والتطلعات. هناك أرواح صالحة، وهناك من يميلون إلى الشر ومليئون بالرغبات الخاطئة. بالنسبة لمعظم الناس، تكون الروح خاضعة للجسد وتسعى جاهدة لخدمة أهوائه، وتميل إلى حياة راضية جيدة التغذية. يجب تدمير مثل هذه الروح، ويجب تدمير كل مطالبها الجسدية الأساسية، التي تدنّس كلّاً من الجسد والروح نفسها.

يخاطب الرسول بولس أهل روما الذين آمنوا بالمسيح، الذين تركوا أسلوب حياتهم الوثني السابق، المليء بالخطيئة والفساد، بالكلمات التالية: فَشُكْرًا للهِ، أَنَّكُمْ كُنْتُمْ عَبِيدًا لِلْخَطِيَّةِ، وَلكِنَّكُمْ أَطَعْتُمْ مِنَ الْقَلْبِ صُورَةَ التَّعْلِيمِ الَّتِي تَسَلَّمْتُمُوهَا. وَإِذْ أُعْتِقْتُمْ مِنَ الْخَطِيَّةِ صِرْتُمْ عَبِيدًا لِلْبِرِّ."(رومية ٦:١٧-١٨).

قبل أن يعرفوا الله، كانوا " مَمْلُوئِينَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَزِنًا وَشَرّ وَطَمَعٍ وَخُبْثٍ، مَشْحُونِينَ حَسَدًا وَقَتْلًا وَخِصَامًا وَمَكْرًا وَسُوءًا، نَمَّامِينَ مُفْتَرِينَ، مُبْغِضِينَ للهِ، ثَالِبِينَ مُتَعَظِّمِينَ مُدَّعِينَ، مُبْتَدِعِينَ شُرُورًا، غَيْرَ طَائِعِينَ لِلْوَالِدَيْنِ، بِلاَ فَهْمٍ وَلاَ عَهْدٍ وَلاَ حُنُوٍّ وَلاَ رِضىً وَلاَ رَحْمَةٍ." (رومية ١:٢٩-٣١).

بعد انقلاب خلاصي كبير في فكرهم، أدركوا عبودية الخطيئة وأصبحوا عبيدًا للبِر. ماذا يعني أن تكون عبداً للخطيئة أو عبداً للبر؟ ألا تعلم أن السكارى المدمنين أو المدخنين الشرهين لا يستطيعون الصمود أمام العادات السيئة فيصيرون عبيداً حقيقيين للفودكا والتبغ؟ ماذا يعني أن تكون عبداً على أي حال؟ يعني أن تكون تحت سلطة شخص ما، في الخضوع لإرادة شخص آخر. لا يملك العبد إرادته، بل يفعل إرادة سيده؛ هكذا هم عبيد الخطيئة. مع تكرار الخطيئة، تصبح عادة قوية أكثر فأكثر، تتجذر في الإنسان، وتتحكم تدريجياً في إرادته ومشاعره وأفكاره وتحافظ عليه في قوتها. شيئاً فشيئاً، يصبح مثل هذا الشخص مفتوناً تماماً بالخطيئة. هذا يعني أنه صار عبداً للشيطان، لأن إبليس هو أبو كل خطيئة وكذب.

قد يستطيع الإنسان أن يلتقي بين المجرمين بالعديد من الأشخاص الحاصلين على تعليم عالٍ، والذين كانوا في السابق يتمتعون بمكانة اجتماعية بارزة، والذين، بعد أن شرعوا ذات مرة في الطريق الخطأ، ذهبوا إلى أبعد من ذلك. انتهى بهم المطاف في السجن، في المعسكرات، ثم أطلق سراحهم في النهاية. ثم ماذا؟ بمجرد ارتكاب الخطيئة، إذا بقيتَ غير تائب، تبدأ الخطيئة في الترسخ في روح الخاطئ، وحتماً مثل المستنقع، تسحب إلى الداخل، وهذا ينتِج المزيد والمزيد من الخطايا. كقاعدة لا جدال فيها، اعترف كل هؤلاء الأشخاص التعساء بصراحة اعتمادهم الكامل على الخطيئة: "لا يمكنني ترك حياة الجريمة والبدء في العمل".

يطلب منا الرب أن نغيّر أفكارنا ومواقفنا، أن نقتلع الأهواء الفاحشة التي تملأ نفوسنا وتقودنا بعيداً عن المسيح. إن إزالة كل نجس من النفس يعني تدمير النفس؛ مَن يهدم نفسه بهذه الطريقة سيجدها ويحتفظ بها

إلى الأبد، لأنها ستصبح نوراً وترتفع إلى الله بحرية. سوف تجد أعظم خير في الشركة معه. لذلك، للحصول على الحياة الأبدية، يجب على الإنسان أن يصبح عبداً للبر. كل عمل صالح، وكل صلاة حارة تترك بصمة عميقة ومباركة في روح الإنسان، وتقدس قلبه.

وإذا تكررت كلمات الحق وأعمال الرحمة أكثر فأكثر، فإن الانجذاب إلى الأعمال الصالحة سيصبح أقوى وأعمق في نفس الإنسان، وبمرور الوقت ستتسلّط عادة الصلاح والحق المقدسة. في النهاية، يصير معتاداً جداً على أعمال المحبة، وسيشعر في قلبه بشكل واقعي بثمار هذه الأعمال المقدسة المليئة بالنعمة، بحيث يصبح عبداً للبِر بشكل غير ملحوظ.

ألم يكن آباء الصحراء والقديسون عبيد البرّ الحقيقيين؟ أو أبونا القديس بيتريم صانع العجائب في تامبوف؟ لقد كان في أسر كامل في الصلاح، وكذلك الأبرار سيرافيم ساروف، سرجيوس رادونيج، أنتوني وثيودوسيوس من دير الكهوف، وجوق الآباء القديسين الذي لا حصر له. إن الحاجة إلى الصلاة وتنقية القلب ومضاعفة المحبة فيه، صارت بالنسبة لنفوسهم المقدسة حاجةً لا تُقاوم. متجاهلين كل شيء، كانوا يتطلعون فقط إلى التحرر من الخطيئة، إلى عبودية البر وحسب.

لقد تكلّم سيدنا يسوع المسيح عن الأمر نفسه موجهاً كلامه إلى اليهود الذين آمنوا به: "«إِنَّكُمْ إِنْ ثَبَتُّمْ فِي كَلاَمِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تَلاَمِيذِي، وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ». أَجَابُوهُ: «إِنَّنَا ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ، وَلَمْ نُسْتَعْبَدْ لأَحَدٍ قَطُّ! كَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: إِنَّكُمْ تَصِيرُونَ أَحْرَارًا؟» أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيَّةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيَّةِ" (يوحنا٨:٣١-٣٤).

كونهم عبيداً حقيقيين للخطيئة، لم يفهم اليهود ما هي عبودية الخطيئة، لكنهم عرفوا فقط أنهم أحرار في أصلهم من إبراهيم. وبيننا نحن المسيحيين، هناك الكثير من الناس الذين يعتبرون أنفسهم أحراراً ويفتخرون بحريتهم. إنهم لا يشكّون في أنهم في الحقيقة عبيد بائسون للخطية، تماماً كما أن اليهود القدامى الذين امتعضوا من كلام الرب يسوع المسيح لم يعلموا ذلك.

" وَإِذْ أُعْتِقْتُمْ مِنَ الْخَطِيَّةِ صِرْتُمْ عَبِيدًا لِلْبِرِّ. أَتَكَلَّمُ إِنْسَانِيًّا مِنْ أَجْلِ ضَعْفِ جَسَدِكُمْ. لأَنَّهُ كَمَا قَدَّمْتُمْ أَعْضَاءَكُمْ عَبِيدًا لِلنَّجَاسَةِ وَالإِثْمِ لِلإِثْمِ، هكَذَا الآنَ قَدِّمُوا أَعْضَاءَكُمْ عَبِيدًا لِلْبِرِّ لِلْقَدَاسَةِ." (رومية ٦:١٨-١٩). في الواقع، العديد من أعضاء أجسادنا تعمل بمثابة أدوات للخطيئة. عقلنا المنطقي الذي يميّزنا عن مخلوق غير عقلاني، يمكننا أن نجعله عبداً للتمرد، إذا لم نوجهه إلى معرفة إرادة الله وشريعته، بل إلى اختراع الخداع والإهانات لإخوتنا. إذا وجهنا أعيننا إلى التأمل النهم في المناظر الشهوانية، وإذا نظرنا إلى الناس بخبث واحتقار، فإن أعيننا، بالطبع، ستصبح أداة للنجاسة. إذا شحذنا آذاننا للاستماع إلى الثرثرة والكلام الفارغ التافه، وإلى تملُّق الذين يزحفون أمامنا، فإننا سنجعل آذاننا جديرة بالازدراء. ألا يكون لساننا إذ ينضح بكل الأكاذيب والإدانة والإهانة والقذف والاستنكار أداةً حادة للشر؟

وكم مرة تمتد أيدينا للاحتيال والسرقة، ومن المروع القول، حتى للقتل؛ الأظافر والأسنان تُستَخدَم في المشاجرات. غالباً ما يركض العديد من الأشخاص التعساء للنهب أو يسرعون "إلى مشورة الأشرار" (انظر

مزمور ١:١). السيقان العارية تثير الشهوة. حتى أننا نعرف كيف نجعل شَعرَنا أداة للخطيئة، لأن النساء بحاجة إلى تسريحات الشعر المعقدة وزخارف الشعر لإغواء الرجال وجذبهم. هكذا ندمّر أرواحنا بالاستخدام الخاطئ لأعضائنا.

أليس معلوماً كم يقع من يسلِمون أجسادهم للشهوانية في الزنا والفجور؟ لكن الرسول يقول: " جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ، الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللهِ،" (١كورنثوس ١٩:٦). كيف يسلّم هيكل الله للنجاسة وكيف تلوّثه؟

في النهاية، يمكننا توجيه جميع أعضائنا إلى الصلاح. فلنوجّه أذهاننا بالكامل إلى معرفة إرادة الله وناموس المسيح، وإلى التقوى في التعاليم والاستقامة بقراءة أعمال آباء الله وقديسيه العظماء. فلندع أعيننا دائماً تشخَص عقلياً إلى صليب المسيح الرهيب، إلى جمال الله النقي في الطبيعة.

أفلا تكون أيدينا التي تقدم الصدقات بسخاء لمن لا حول لهم ولا قوة وتخفف من احتياجاتهم وأمراضهم بكل الطرق الممكنة، أكثر أدوات البِرّ طبيعية؟ وحتى أقدامنا يمكن أن تصبح جميلة، لأن " «مَا أَجْمَلَ أَقْدَامَ الْمُبَشِّرِينَ بِالسَّلاَمِ، الْمُبَشِّرِينَ بِالْخَيْرَاتِ»" (رومية ١٥:١٠).

إن تخلي الفرد عن أعضائه في عبودية البِرّ يعني التغلب على شهوات الجسد الأساسية، واكتساب القوة على أعضائه، وإبعادها عن الخطيئة. هذا يعني أن تترك طريق الإثم، وتترك بيت الفرح وتستقر في بيت النوح (راجع جامعة ٤:٧)، وتجعل قلبك هيكلاً حقيقياً لله. وحينئذ يمكن أن نقول عنك قول الرسول: " لأَنَّكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ عَبِيدَ الْخَطِيَّةِ، كُنْتُمْ أَحْرَارًا مِنَ الْبِرِّ. فَأَيُّ ثَمَرٍ كَانَ لَكُمْ حِينَئِذٍ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي تَسْتَحُونَ بِهَا الآنَ؟ لأَنَّ نِهَايَةَ تِلْكَ الأُمُورِ هِيَ الْمَوْتُ"(رومية ٢٠:٦-٢١).

في رسالة أخرى، يتحدّث الرسول بشكل مباشر عن هذه الأعمال: " وَأَعْمَالُ الْجَسَدِ ظَاهِرَةٌ، الَّتِي هِيَ: زِنىً، عَهَارَةٌ، نَجَاسَةٌ، دَعَارَةٌ، عِبَادَةُ الأَوْثَانِ، سِحْرٌ، عَدَاوَةٌ، خِصَامٌ، غَيْرَةٌ، سَخَطٌ، تَحَزُّبٌ، شِقَاقٌ، بِدْعَةٌ، حَسَدٌ، قَتْلٌ، سُكْرٌ، بَطَرٌ، وَأَمْثَالُ هذِهِ الَّتِي أَسْبِقُ فَأَقُولُ لَكُمْ عَنْهَا كَمَا سَبَقْتُ فَقُلْتُ أَيْضًا: إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هذِهِ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ. وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ، فَرَحٌ، سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ، لُطْفٌ، صَلاَحٌ، إِيمَانٌ، وَدَاعَةٌ، تَعَفُّفٌ. ضِدَّ أَمْثَالِ هذِهِ لَيْسَ نَامُوسٌ" (غلاطية ١٩:٥-٢٣).

أأستطيع الآن أن أقول عنكم، يا رعيتي في تامبوف، أنه بعد تحرير ذواتكم من عبودية الخطيئة، أصبحتم مطيعين لتعاليم المسيح التي أحاول أن أعلمكم إياها؟ أعلم أنه ليس الكل أصبحوا عبيداً للبِر. دعوا قلوبكم ترتجف مثل قلبي، لا تكنْ دموعي وحدها التي تُذرَف حول هذا، بل أيضاً عيونكم يجب أن تذرفَ دموع التوبة والندم على دنسكم. إذا حررتم أعضائكم من الأغلال الآثمة والتفتم إلى الله، فإن ثمرة هذا التغيير ستكون القداسة، والنهاية هي الحياة الأبدية، التي يمنحها المسيح إلهنا الرحوم والغفور لجميع التائبين. آمين.

Source: Homily for the Epistle Reading of the Fourth Sunday After Pentecost , Romans 6:17-19, Delivered on July 22, 1945 in Tambov. http://www.mystagogyresourcecenter.com/2023/07/homily-for-epistle-reading-of-fourth.html

عظة حول رسالة الأحد السابع بعد العنصرة

سوتيريوس، ميتروبوليت بيسيديا

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

القراءة: رومية ١٥:١-٧

١ فَيَجِبُ عَلَيْنَا نَحْنُ الأَقْوِيَاءَ أَنْ نَحْتَمِلَ أَضْعَافَ الضُّعَفَاءِ، وَلاَ نُرْضِيَ أَنْفُسَنَا.
٢ فَلْيُرْضِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا قَرِيبَهُ لِلْخَيْرِ، لأَجْلِ الْبُنْيَانِ.
٣ لأَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا لَمْ يُرْضِ نَفْسَهُ، بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «تَعْيِيرَاتُ مُعَيِّرِيكَ وَقَعَتْ عَلَيَّ».
٤ لأَنَّ كُلَّ مَا سَبَقَ فَكُتِبَ كُتِبَ لأَجْلِ تَعْلِيمِنَا، حَتَّى بِالصَّبْرِ وَالتَّعْزِيَةِ بِمَا فِي الْكُتُبِ يَكُونُ لَنَا رَجَاءٌ.
٥ وَلْيُعْطِكُمْ إِلهُ الصَّبْرِ وَالتَّعْزِيَةِ أَنْ تَهْتَمُّوا اهْتِمَامًا وَاحِدًا فِيمَا بَيْنَكُمْ، بِحَسَبِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ،
٦ لِكَيْ تُمَجِّدُوا اللهَ أَبَا رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَفَمٍ وَاحِدٍ.
٧ لِذلِكَ اقْبَلُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا قَبِلَنَا، لِمَجْدِ اللهِ.

من أخطر القضايا التي تؤثر على المجتمع على جميع المستويات هو الانهيار الكامل للعلاقات بين الناس. يمكن ملاحظة ذلك حتى داخل الأسرة الواحدة، حيث الزوجان متغرّبان بسبب الخلافات، وهناك نفور بين الأبناء والأهل. ما هي النتيجة؟ يصير الزوج والزوجة في نهاية المطاف مُطلقَين. يقطع الأولاد العلاقات مع والديهم (أو العكس). يمكن رؤية هذا في كل مكان في مجتمعاتنا: الإخوة والأصدقاء والزملاء والجيران باردون مع بعضهم البعض، ويكيلون الاتهامات لبعضهم البعض (أو أسوأ) ويتجنبون بعضهم البعض.

هناك العديد من الأسباب التي تجعل العلاقات تنتهي بهذه الطريقة. يعود السبب الرئيسي إلى أنانيتنا. عندما يفعل أحد ما شيئاً أو يقول ما يسيء إلينا، فإننا نرد بشدة. أو عندما نشعر أننا على صواب بشأن أمرٍ ما فيما يخالفنا الآخرون، عندما نفكّر فقط في مشاعرنا ونتجاهل الشخص الآخر، فإن الخلاف لا مفر منه. وقد أدى ذلك إلى عواقب وخيمة علينا جميعاً.

في مقطع القراءة اليوم من رسالة الرسول بولس إلى أهل رومية، يوجّهنا الرسول في الاتجاه الصحيح لإقامة العلاقات بتأنٍّ مع الآخرين، مشيراً بقوله: "يَجِبُ عَلَيْنَا نَحْنُ الأَقْوِيَاءَ أَنْ نَحْتَمِلَ أَضْعَافَ الضُّعَفَاءِ" (الآية ١).

على مَن هم على حق وأقوى إيماناً بيننا أن يتحملوا ضعف أولئك الذين هم أضعف في الإيمان ويفتقرون إلى الفهم. فلنلقِ نظرة فاحصة على عبارة "يجب علينا". قد يعرف الشخص الآخر القليل عن إرادة الله ولا يدرك أنه مخطئ. قد يكون لديهم سوء فهم كامل لما يقومون به أو يقولونه، أو أنهم لا يدركون عواقبه. أياً تكنِ الحالة، فإن علينا أن نحاول مساعدتهم على الفهم. إذا فشل هذا، واستمروا في أفعالهم، فعلينا أن نسامح ضعفهم باسم المحبة، كما يعلمنا الرسول، ولا نبعدهم.

يتابع الرسول: "وَلاَ نُرْضِيَ أَنْفُسَنَا. فَلْيُرْضِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا قَرِيبَهُ لِلْخَيْرِ، لأَجْلِ الْبُنْيَانِ" (الآيتان ١ و ٢).

إذا فعل الجميع ما يريدون دون أي اعتبار للآخرين، فمن الطبيعي أن تكون هناك مواجهات. إذا أصغينا إلى كلمات القديس بولس وحرصنا على عدم إيذاء الآخرين يسود الفرح والسلام. لاحقاً في رسالة رومية، يضيف القديس بولس شيئاً آخراً مهماً جداً: "وَادِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ، مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكَرَامَةِ" (رومية ١٠:١٢). إن علاقاتنا مع العائلة والأصدقاء والجيران تستوي إذا قمنا بذلك.

يشير الرسول القديس أيضاً إلى الصبر في هذا المقطع. نحن نعلم من التجربة الشخصية مدى صعوبة التعامل مع شخصيات مختلفة. لهذا السبب هو يوصي بالصبر.

"حَتَّى بِالصَّبْرِ وَالتَّعْزِيَةِ بِمَا فِي الْكُتُبِ يَكُونُ لَنَا رَجَاءٌ." (الآية ٤)و"لِكَيْ تُمَجِّدُوا اللهَ أَبَا رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَفَمٍ وَاحِدٍ" (الآية ٦).

هناك حوادث لا تُحصى في الحياة تذكّرنا بأن الصبر هو من أعظم الفضائل، إذ ينقذنا من العديد من المواقف الصعبة. قال الرب "بصبركم تقتنون نفوسكم" (لوقا ١٩:٢١).ـ إن الأمثلة التي نجدها في الكتاب المقدس، مثل أيوب، تشجعنا على التعامل بصبر مع جهاداتنا. بما أن الصبر هو عطية إلهية، فإن القديس بولس يصلي لكي يعطيها الله حتى يتم الحفاظ على الانسجام بين الناس.

ينهي الرسول بولس بهذه الكلمات: " اقْبَلُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا قَبِلَنَا، لِمَجْدِ اللهِ" (الآية ٧).

إخوتي وأخواتي المحبوبين، تخيّلوا كيف يكون الأمر لو كانت هذه الكلمات الأخيرة للرسول دائماً في أذهاننا. لن نسمح أبداً لعلاقاتنا أن تعاني مثل هذا الألم. المسيح قد قَبِلَنا! في أي حالة كنّا عندما أغفل المسيح كل ذنوبنا ونسي كل شيء؟ ماذا كانت حالتنا عندما قَبِلَنا كإخوته وأخواته ومات على الصليب من أجلنا؟ يجيب القديس بولس: " لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا" (رومية ٨:٥). دعونا أيضاً نقبل الأشخاص الآخرين الذين يتسمون بالتسامح والصبر والمحبة، بغض النظر عما فعلوه لإيذائنا. بهذه الطريقة، تمتلئ حياتنا بالسلام والفرح وحسن النية تجاه الجميع. آمين.

Source: Metropolitan of Pisidia Sotirios †. Sermon on the Apostolic Reading for the 7th Sunday of Matthew (Romans 15: 1-7). Pemptousia. 22 July 2023. https://pemptousia.com/2023/07/sermon-on-the-apostolic-reading-for-the-7th-sunday-of-matthew-romans-15-1-7/

كيف تغيّر نفسك؟

المتقدم في الكهنة أندرو ليميشونوك

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

كيف يمكننا أن نغيّر أنفسنا عندما نكرر نفس الخطيئة مراراً وتكراراً؟ كيف يمكن للفكر الصالح أن يساعد في محاربة الخطيئة؟ يجيب الأب أندرو ليميشونوك على هذه الأسئلة وغيرها في حديث مع راهبات دير القديسة إليزابيث في مينسك.

في بعض الأوقات، تبدأ في رؤية كل شخص وكل شيء بشكل مختلف.

علينا أن نفهم أننا تلاميذ مهملون، وأننا كسالى، لكن الرب جاء ليخلصنا. المحبة وحدها، محبة الصليب، يمكنها أن تجعل الإنسان قادراً، ليس فقط على لمس المحبة، ولكن أيضاً لإفساح المجال لها داخل نفسه، ليحملها في قلبه. اليوم ننظر إلى أنفسنا ونفهم أننا لسنا منتَجًا نهائيًا بعد؛ نحن فقط نصف منتهون. لا يزال المنتج بحاجة إلى أن يكون مناسباً للاستخدام. لذلك، كل ما يحدث لنا هو تهيئة لنا.

هل من الصعب تخيل ما سيحدث بعد ذلك، كيف سيكون الوضع هناك في الملكوت؟ ماذا ستفعل روحي المتفاخرة هناك؟ كل هذا هو لغز عظيم بالنسبة لنا. ومع ذلك، تقودنا الكنيسة إلى حياة جديدة. وكل هذا يحدث من خلال جيراننا.

كيف ندين أحداً أو نقيّم أحداً؟ هذا جنون. الإنسان متقلّب: اليوم هو متقدّس وغداً مختلف. لا نريد أن ننظر إلى أنفسنا. فيما ننظر في كل مكان. ما الفرق الذي يحدثه لنا - مَن وكيف وماذا؟

أرى أنه عندما ينظر شخص ما إلى حياته بطريقة أرضية ولا يشمل الله في هذه النظرة، عندما يكون هو رجاء نفسه، فإن كل شيء يسير بشكل خاطئ. لذلك، علينا أن نكون حذرين للغاية. لا شيء يحدث بدون مشيئة الله. هل هناك شيء مؤلم؟ هناك سبب. ابحث عن السبب. اعمل على أخطائك، وإلا فستتأذى أكثر. هذا هو الحال مع كل شيء.

أمر محبط هو الاعتماد على الحالة المزاجية للإنسان، على الطقس، أو على شيء يقوله أحدهم. هذا غير جدي أبداً. يجب أن نتبنّى موقفاً مختلفاً. ماذا يمكننا أن نفعل بدون الله؟ لا شيء. الله يهتم بنا جميعا. يسمعنا.

أليكم شيء حدث مرةً. قضيت الليلة عند الأب نيكولاي جوريانوف. جاءت امرأة لرؤيته. سمعته يسألها: "وماذا تريدين؟" قالت: أريد أن أنضم إلى دير. باركها بلطف شديد. لكنها نهضت في الصباح وقالت: "قررت أنني بحاجة إلى عائلة. باركني." سألها الأبونا: "ما الذي تريدينه فعلاً؟"

نحن بلا تواصل ولا تفاهم متبادل. ننظر إلى كل شيء من برجنا. نحن نعرف لمَن يجب أن نقدم أي نصيحة. لكن هذا خداع للذات. لقد حدث هذا بالفعل عدة مرات. لا بدّ أن ترى؛ عليك أن تفهم الإنسان. لكن هذا صعب؛ في بعض الأحيان تريد أن تقول: "امضِ في طريقك..." ولكن عليك أن تساعده في معرفة ما يريد الله أن يقوله. هذا يستغرق وقتاً وجهداً...

بالطبع، نحن من أوزان روحية مختلفة، وما هو جيد لإنسان قد يكون سيئاً لإنسان آخر. هذا يتطلب تمييزاً. إنه لَحكمة عندما يتعب الإنسان للعثور على كلمة من الله لشخص ما. وعندما يتم العثور على هذه الكلمات، فإنها تشق طريقها إلى قلبه وتساعده. ولكن في كثير من الأحيان، تبدو كلماتنا صحيحة من حيث الشكل، لكنها لا تنسجم مع المحتوى. فلا يسمعها الشخص المعني. يبدو أنك قلت شيئاً وسمع شيئاً آخراً. حدث هذا مع الأخوات مؤخراً - سوء فهم كامل. لم يكن خداعاً بل فهماً مشوهاً - لم يسمعْن. أحياناً يكون هناك تجديف على كهنتنا، على الدير على وجه التحديد بسبب سوء فهم، لأن أحدهم لا يسمع.

هذا شيء حدث في كاتدرائية القديسَين بطرس وبولس. كان العديد من الأخوات والإخوة يأتون للاعتراف في ذلك الوقت. كنت أحظى بالكثير من الاهتمام. ولاحقاً عندما غادرت إلى الدير، ابتعد الكثيرون. كانت هذه تجربتي. اليوم يعطونك الانتباه، وغداً يديرون ظهورهم لك. لا بأس. لهذا السبب من المهم جداً أن نسمع الله! ويمكن أن يتكلم الله من خلال أي شخص.

عندما نتغير داخلياً ونصبح أشخاصاً مختلفين، فإن الكثير من حولنا يتغير أيضاً. لا ينبغي أن نكون جامدين. علينا أن نتحرك. لدي عاهات جسدية؟ أهي خطيرة، لا سيما بالنظر إلى أن عليّ أن أخدم. لكن هذا يساعدني على النظر إلى نفسي وإلى الخدمة بشكل مختلف. وعلينا أن نختبر كل هذا حتى النهاية. علينا أن نواضع أنفسنا.

المرحلي هو مرحلي. من المهم البحث عن الحاضر. والروح تريد هذا الحاضر. هذا رجل مريض بعض الشيء، إنه في ورطة. حسناً، تحمّل مع هذا الرجل. لا تمتعض، ولا تدخل في قتال، ولا تحاول إثبات أي شيء. كن هادئاً. صلِّ. حاول إجراء حوار بسلام. لا تفسد سلامك وسلام جارك...

سؤالنا اليوم هو: "يرجى أن تشاركوا تجاربكن حول كيفية تغيير نفوسكن. نفس الخطيئة تكرر نفسها".

أوه ، إنها تتكرر. هذا غير منطقي. ولكنها تصبح أقوى، وهنا تكمن المشكلة.

Source: Archpriest Andrew Lemeshonok. How to Change Yourself? St. Elisabeth Convent. OrthoChristian. 6/19/2023. https://orthochristian.com/154332.html

اللاهوت الأخلاقي – الفصل السادس: مسؤوليات الإنسان

الميتروبوليت فيلاريت فوزنسنسكي

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

المواضيع: الأنواع الثلاثة من مسؤوليات الإنسان. المسؤولية تجاه نفسه ؛ تنمية الشخصية الروحية (متمايزة عن الأنانية). التدرج في هذا التطور.

إن المسيحي الذي يعيش في هذا العالم هو في علاقة متبادلة مستمرة وحيّة مع الله وإخوته والأشخاص المحيطين به. بالإضافة إلى ذلك، يهتم المسيحي بنفسه طوال حياته وبسلامته الجسدية وخلاصه الروحي. وبالتالي، يمكن تقسيم مسؤولياته الأخلاقية إلى ثلاث مجموعات: ١) المسؤولية تجاه نفسه، ٢) المسؤولية تجاه إخوته، ٣) المسؤوليات الكبرى تجاه الله.

إن المسؤولية الأولى والأكثر أهمية للفرد هي تحسين شخصيته الروحية داخل نفسه من خلال العمل، وشخصيته المسيحية الحقيقية "الأنا". الشخصية الروحية للمسيحي ليست شيئاً يُمنح له منذ البداية، فهذا شيء يسعى وراءه ويكتسبه ويعمل من أجله بجهوده الشخصية بجهد جهيد. لا جسد المسيحي، بقدراته وقوته وجهوده، ولا النفس ذاتها كمركز خلقي لخبراته الواعية كبداية الحياة. إنها شخصيته الروحية، "الأنا" الروحية. هذه الشخصية الروحية داخل كل مسيحي هي التي تميزه بشدة عن كل غير مسيحي، والكتاب المقدس لا يسميها النفس، بل الروح. هذا الروح بالتحديد هو المركز، وتركيز الحياة الروحية، والسعي نحو الله، والحياة الأبدية المباركة التي لا نهاية لها. في هذه الحالة بالذات، يمكن إعادة صياغتها. وبالتحديد، فإن مشكلة الحياة الأرضية لكل إنسان هي بالضبط أن يكون قادراً خلال هذه الحياة على خلق شخصيته الروحية والعمل بها، "الأنا" الحقيقية الحية والأبدية.

يستطيع الإنسان أن يهتم بـ "أناه" بطرق مختلفة. هناك أشخاص يُسمّون أنانيين ويهتمون كثيراً بأناهم الخاصة ويهدئونها. لكن الأناني لا يفكر إلا بنفسه ولا يفكر بغيره. في أنانيته، يسعى جاهداً للحصول على سعادته بأي شكل من الأشكال، حتى على حساب جلب المعاناة والتعاسة إلى أقرب إخوته. في حالة العمى، لا يلاحظ أنه من وجهة نظر فهم المسيحية الحقيقي للحياة، هو يضر نفسه فقط، يضرّ أناه الأزلي.

هنا، المسيحية، إذ تدعو الإنسان لبناء شخصيته الروحية، تأمره بالتمييز بين الخير والشر كطريقة لهذا البناء، وبين المفيد حقاً وما يبدو مفيداً فيما هو ضار، تعلمنا المسيحية أنه يجب علينا مراعاة كل شيء معطى إلينا من الله، صحتنا وقدراتنا وفضائلنا وصفاتنا الخلقية لا كأنها "الأنا" الخاصة بنا، بل باعتبارها هبة من الله. يجب أن نستخدم هذه كمواد بناء لبناء روحنا. علينا أن نستخدم كل هذه "المواهب" التي منحناها الله، ليس فقط لأنفسنا أنانياً بل للآخرين. تتعارض قوانين الحقيقة السماوية مع قانون الربح الأرضي. بحسب الاعتبارات الأرضية، يكتسب المرء الثروة (للأبدية)، إذا أعطى وفعل الخير في حياته الأرضية. في المثل الشهير عن

وكيل الظلم (لوقا ١٦)، فإن الفكرة الرئيسية والمفتاح لفهمه بشكل صحيح هو مبدأ الاختلافات بين مفاهيم الأنانية الأرضية والحقيقة الإلهية. في هذا المثل، دعا ربنا صراحة الثروات الأرضية، التي تم تجميعها بأنانية لنفسه، على أنها "مال الإثم" وأمرنا باستخدامها ليس لأنفسنا، بل للآخرين حتى يتم قبولها في المساكن الأبدية.

إن المثال الأعلى للكمال المسيحي سامٍ بشكل لا يسهل بلوغه. "كونوا اذاً كاملين كما ان أباكم الذي في السموات كامل" (متى ٤٨:٥). لا يمكن أن ينتهي عمل الإنسان مع نفسه، بشخصيته الروحية. إن الحياة الأرضية الكاملة للمسيحي هي عمل نزيه لتكميل الذات أخلاقياً. وبالطبع، لا يُعطى الكمال المسيحي على الفور ولكن بالتدريج. البارّ سيرافيم ساروف أخبر أحد المسيحيين الذي، بسبب قلة خبرته، أراد أن يصل مباشرة إلى القداسة (الكمال) أن "يفعل كل شيء شيئًا فشيئًا وليس فجأة؛ إن الفضيلة ليست فاكهة، فلا يمكنك أن تأكلها بغتة..."الرسول بولس، بكل قوته الروحية وسموه، لم يعتبر نفسه قد حقق ذرّة كاملة، لكنه قال " أَنَا لَسْتُ أَحْسِبُ نَفْسِي أَنِّي قَدْ أَدْرَكْتُ. وَلكِنِّي أَفْعَلُ شَيْئًا وَاحِدًا: إِذْ أَنَا أَنْسَى مَا هُوَ وَرَاءُ وَأَمْتَدُّ إِلَى مَا هُوَ قُدَّامُ، أَسْعَى نَحْوَ الْغَرَضِ لأَجْلِ جَعَالَةِ دَعْوَةِ اللهِ الْعُلْيَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (فيلبي ١٣:٤-١٤).

فهم الكتاب المقدس من خلال الآباء

د. جايني كونستانتينو

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

من هم **آباء الكنيسة**؟ الأرثوذكسيون يسمعون بذِكْرِهم في كثير من الأحيان. **"الآباء"** هم رجالٌ قديسون كانوا لاهوتيين ومفكرين وكُتَّاباً عظماء في الكنيسة. عبروا عن عقائد الكنيسة، وأعطوا إرشاداتٍ أخلاقية للمؤمنين، وفسروا الكتاب المقدس، ودافعوا عن الكنيسة ضد الهرطقة؛ قاموا بكل هذه الأمور. هل كانت هناك أمهات للكنيسة أيضاً؟ ليس أنَّ الكنيسة تحاول أن تكون جنسانية[١] ولكنَّ الواقع هو أن النساء نادراً ما تلقَّين التعليم في العصور القديمة، لأنهنَّ لم يخرجنَ ويعمَلن في مِهَن. لذا، فلأنه لم يكن هناك كثير من النساء المتعلمات، ليس لدينا أمهات للكنيسة – أي ليس بالمعنى نفسه حين نقول أن لدينا **آباءً للكنيسة**. قليلٌ من النساء المسيحيات قد تركنَ كتاباتٍ، ولكنْ ليس العديدَ منها، بالتأكيد ليس بالمقارنة مع الرجال. من المؤكد أنه كان هناك عدد مماثل من القديسات العظيمات، ولكنْ، لأنَّ النساء لم يكنَّ متعلِّماتٍ، فإنهنَّ لم يتركنَ كتاباتٍ تظهر تأثيرهن.

متى عاش **"الآباء"**؟ لدينا **آباءٌ** من القرون الأخيرة، ولكنَّ الأكثرَ شهرةً هم أولئك الذين من العصر الذهبي للآباء، ألا وهو القرن الرابع بشكلٍ أساسي. وهم المُشارُ إليهم في أغلب الأحيان [أي المقصودون بقولنا: **الآباء**]. شخصياتٌ مثل القديسِين: يوحنا الذهبي الفم وباسيليوس الكبير وأثناسيوس وغريغوريوس اللاهوتي وغريغوريوس النيصصي و يـيرونيموس وأغسطينوس وآخرون. نتكلم عنهم كثيراً، ولكنَّ هدف الحياة المسيحية ليس ببساطةٍ الاحتفالَ بذكرى هؤلاء الرجال أو مجرد تذكُّرهم أو رسم أيقوناتهم أو الاقتباس منهم أو دراستهم [أي دراسة كتاباتهم]، بل كما هو الحال مع جميع القديسين، تضع الكنيسة **الآباء** أمامنا كنماذج يمكننا الاقتداء بها كما اقتدوا هم بالمسيح. بالتأكيد هم مرشدون لنا في تفسير الكتاب المقدس وفي اللاهوت. هم قديسون. لهذا السبب نقرأ [كتاباتهم]، ليس لأنهم كانوا أذكياء أو خطباءَ عُظماء أو كُتَّاباً عُظماء، بل لأنهم كانوا رجالاً قديسين. لأجل ذلك نثق بهم في ما يُخبروننا.

إذا أردنا الاقتداءَ بهم، فلنستكشف ما الذي قَولبَهم. ما الذي ألهمَهم؟ ما الذي أثر فيهم؟ بالتأكيد، كان لدى الكثير [منهم] آباء رائعون، آباء قديسون. كان لدى الكثير [منهم] مرشدون ومعلمون روحيون عظماء. وجميهم حصلوا على تعليمٍ رائعٍ، تعليمٍ وثني، تعليمٍ من صنف التعليم الجامعي. ولكنْ، ما هو الأمر المشترك بينهم؟ كان لهم آباء مختلفون، وتعليم مختلف، ومعلمون مختلفون، ومرشدون مختلفون. ما الشيء المشترك الذي كان لديهم وقد صاغ شخصياتهم؟ بالطبع، إنه الكتاب المقدس. ما الذي أخذه الذهبي الفم معه إلى الصحراء حين أخضع نفسه لصومٍ صارم؟ ما الذي أمضى ساعاتٍ يحفظه غيباً؟ إنه الكتاب المقدس. حين خرج باسيليوس الكبير وغريغوريوس اللاهوتي إلى برية البنطس ليعيشا في ديرهما الصغير، ما الذي شغل لبّ هذين العقلين العظيمين؟ دراسة الكتاب المقدس. ما الذي كان أساس حياةِ الصلاة لجميع **الآباء**، وصِدقاً، لجميع المسيحيين الأوائل؟ إنه سفر المزامير. ما الذي استعان به أثناسيوس عندما كان يحارب الأريوسية؟ ما الذي استعان به

كرلس الإسكندري لمحاربة النسطورية؟ ما الذي استعان به جميع **الآباء** في جميع الحروب ضد الهرطقة؟ بالطبع، إنه الكتاب المقدس.

والآن، بما أنهم استخدموا الكتاب القدس بفعالية كبيرة في هذه المعارك العظيمة [ضد الهرطقات]، وبما أنهم كانوا جميعاً حاصلين على تعليم جيد، فهل هذا يعني أن **الآباء** اعتبروا الكتابَ المقدس مجالاً مقتصراً على الرهبان والكهنة والأساقفة؟ (لأن معظمهم كانوا أساقفة، مع أن البعض كانوا كهنة مثل يبرونيموس، والبعض كانوا علمانيين مثل يوستينوس الشهيد). هل اعتقدوا بأن المتعلمين والإكليريكيين والرهبان هم وحدهم من يجب أن يقرؤوا الكتاب المقدس؟ بالطبع لا. جميع **الآباء** أكدوا على أهمية الكتاب المقدس كمصدرٍ لا غنى عنه للتوجيه والإلهام والإرشاد والتعزية الروحية لجميع المسيحيين. كان هذا هو الحال، لا في الشرق فقط، بل في الغرب أيضاً. إن **الآباء** الغربيين، أمثال أمبروسيوس وأغسطينوس و ييرونيموس، قد شجعوا هم أيضاً جميع المسيحيين على قراءة ودراسة الكتاب المقدس. قد غاصوا في الكتاب المقدس. كتبوا ووعظوا عن الكتاب المقدس إلى ما لا نهاية. تناقشوا وتباحثوا حول مقاطع مثيرةٍ للجدل، ولدينا تطارحات (أخد ورد) جميلة بين أوغسطينوس وييرونيموس حول مقاطع محددة لم يتفقوا حول تفسيرها. لقد طالبوا بترجماتٍ لاتينية أكثر دقة.

ولكنَّ ما حصل في الغرب هو أنه، بعد فترة وجيزة من العصر الذهبي **للآباء**، سقطت مدينة روما، وطبعاً سقطت الإمبراطورية الرومانية الغربية، وانحطَّ التعليم بشكلٍ كبير في الغرب. أبقت الكنيسة الغربية أسفارها المقدسة باللاتينية، وأبقت قُدَّاسها باللاتينية. كادت اللغة اللاتينية تختفي كلغة مَحكيّة.وحتى ولو كان المرء متعلماً بلغته المحلية، فقد كان من المتعذر عليه الوصول إلى الكتاب المقدس [قراءته وفهمه]، لأن الأشخاص الوحيدين الذين كانوا يعرفون اللاتينية هم الأثرياء جداً، الذين كانوا متعلمين، إلى جانب الإكليريكيين والرهبان. لذلك فقد تبنَّت الكنيسة الكاثوليكية في النهاية الموقف القائل بأن الكتاب المقدس لم يكُن مُعَدَّاً لأن يقرأه الناس العاديون، بل فقط الإكليريكيون. في الواقع لم يكن هذا هو الحال مطلقاً. منذ البداية، شجع **آباء** الكنيسة الجميعَ على قراءة الكتاب المقدس، ولكنْ لم يكن هذا موقفَ الكنيسة الكاثوليكية بعد أن انفصلت عن الكنيسة الأرثوذكسية.

أحدُ اتهاماتِ مارتن لوثر ضد الكنيسة الكاثوليكية كان هذا الأمرَ تحديداً. من أوائل الأمور التي قام بها مارتن لوثر هو ترجمة الكتاب المقدس إلى الألمانية، وبالعموم فإنه أثناء الإصلاح (Reformation)، كان هناك اهتمامٌ كبير بتوفير الكتاب المقدس بلغة الناس الشائعة. جرى ذلك لبعض الوقت في أوروبا الغربية، ولكن الناس دفعوا ثمناً باهظاً لذلك. كان هناك أشخاصٌ أمثال تايندال (Tyndale) قد ترجموا الكتاب المقدس إلى الإنكليزية، والذين قاموا بعملٍ كهذا كانوا عرضةً للاضطهاد. سُجنوا، أحرِقوا على وتد، كان عليهم الهرب لينجوا بحياتهم، أو كان عليهم الاختباء.

هذا ما كان عليه الوضع في أوروبا الغربية، ولكنَّ الأمر لم يكن كذلك أبداً في الشرق. لقد شجعت الكنيسة الأرثوذكسية جميع المسيحيين على قراءة الكتاب المقدس. حين نقلت الحملاتُ التبشيرية الأرثوذكسيةُ الإيمانَ إلى مناطق أخرى من العالم، كانت إحدى مهامهم هي ترجمة القداس الإلهي والكتاب المقدس للغة الناس. نرى ذلك دائماً. في كثير من الأحيان، لم يكن لدى الناس الذين أُخِذَ إليهم الكتاب المقدس أبجديةٌ مكتوبة حتى، وكان على المبشرين اختراع أبجدية. ونرى ذلك في حالة القديس إنوكنديوس ألاسكا، الذي عاش بين الألوتيين (الأسكيمو) في جزرهم وترجم الكتاب المقدس إلى عدد من اللغات المحلية. نجد ذلك في حالة القديسين كرلس وميثوديوس، الذَين بشَّرا السلاف وترجما الكتاب المقدس إلى السلافونية، والقديس إفثيميوس الذي فعل الأمر ذاته للجورجيين، وهلمَّ جراً. إذن، كان هذا هو التقليد الأرثوذكسي. ليس هذا أمراً تفرّد به البروتستانت. لم يخترع البروتستانت فكرة ترجمة الكتاب المقدس إلى عدة لغاتٍ وجعْلِه متوفراً للناس. لقد احتجُّوا بالتأكيدِ على الكنيسةِ الكاثوليكية لعدم قيامها بذلك، ولكنَّ ذلك كان التقليدَ الأرثوذكسي لزمنٍ طويلٍ، حتى قبل ظهور البروتستانتية.

بالرغم من ميراثنا الغني في الحفاظ على الكتاب المقدس وإعلاء شأنه، وبالرغم من النصائح التي لا عدَّ لها **للآباء** القديسين حول أهمية وفوائد قراءة الكتاب المقدس، فإن الواقع هو أنَّ معظم المسيحيين الأرثوذكسيين اليومَ نادراً ما يقرؤون الكتاب المقدس.

لماذا أصرَّ **الآباء** بشدةٍ على القراءة الدائمة للكتاب المقدس، وما الفائدة التي رأوها في ذلك؟ كيف كانوا ليَردوا على الأعذارِ التي نقدِّمُها نحن اليوم لإهمالنا دراسة الكتاب المقدس؟ حسناً، فلنأخذ بعين الاعتبار أن القديس يوحنا الذهبي الفم قد علَّق على أن يسوع لم يكتب أسفاراً مقدسة. عوضاً عن ذلك فإن الرب قد أورثَنا الروح القدس. شاءَ الربُّ أن نحيا حياةً مُقادة بالروح، ولكنْ لأننا لا نعيش وفقاً لنعمة الروح فإننا بحاجةٍ إلى الكتاب المقدس. لذلك فإن الكتاب المقدس موجود بسبب ضعفنا و إثمنا، والغاية الوحيدة للكتاب المقدس هي خلاص البشرية. جميع **الآباء** قالوا هذا وأكدوا لرعاياهم بشكل متكرر أن الكتاب المقدس قد كُتِبَ لمنفعتنا وتقويمنا.

من بين الآيات المفضلة التي كان **الآباء** يقتبسونها بشكل دائم، بمن فيهم الذهبي الفم وباسيليوس وأغسطينوس وأمبروسيوس وآخرون، هي كورنثوس الأولى ١٠:١١، حيث يقول بولس الرسول: "هذِهِ الأُمُورُ جَمِيعُهَا... كُتِبَتْ لإِنْذَارِنَا". لقد أخذوا ذلك على محمل الجد بالفعل. آية أخرى من الآيات المفضلة عندهم للاقتباس كانت: "فتشوا الكتب"، وهي عنوان هذا البرنامج لهذا السبب بالتحديد. لقد أحبوا الاقتباس من الرب الذي قال "فتشوا الكتب" يوحنا ٥:٣٩. بما أن الكتب [أي مجموع الأسفار التي تكوّن الكتاب المقدس(المترجم)] قد أعطيَت لمنفعتنا، فإنه من الأهمية بمكانٍ أن يدرس المسيحيون الكتاب المقدس وينتفعوا منه. لقد حذر ذهبي الفم بأن المسيحي الذي يختار ألا ينتفع من الكتاب المقدس (إذ إنه خيارُنا أن نقرأه أو لا)، المسيحي الذي، عوضاً عن ذلك، يهمل الكتاب المقدس، ولا يعيره أي اهتمام ويتعامل معه وكأنه بلا هدف، سينالُ بالأحرى دينونةً أكثر قسوة، لأن الكتاب المقدس أعطي من الله لمنفعتنا. وكأننا نزدري الله ونرفضه بعدم قراءة الكتاب المقدس.

لماذا كان الذهبي الفم، على سبيل المثال، شديد الإصرار على قراءة رعيَّتِه للكتاب المقدس؟ ما الفائدة التي كان يعتقد أن [الكتاب المقدس] سيقدمها لهم؟ حسناً، لقد كان شديدَ القلق بخصوص التأثيرات الشريرة التي كانت تفسد رعيَّته. عام ٣٩٠م، في أواخر القرن الرابع، كان القديس يوحنا الذهبي الفم كاهناً في أنطاكية، التي كانت إحدى أكبر المدن في الإمبراطورية الرومانية. أصبح بعد ذلك أسقف القسطنطينية، والتي كانت بالطبع العاصمة الشرقية للإمبراطورية الرومانية. وبالتالي فقد خدم في مكانين حَضَريين؛ كان الناس في هاتين المدينتين معقدين جداً، وغير مختلفين مطلقاً عما نحن عليه اليوم. لقد استمتعوا بتسلياتهم وأوقاتهم الممتعة وحفلاتهم؛ امتلكوا قصوراً جميلة وكل أنواع الكماليات التي لا يمكننا حتى استيعابها بالحقيقة. لدينا تكنولوجيا، ولكنَّ نمط الحياة كان ذاته في كثير من النواحي. قلِقَ الذهبي الفم بشأن ذلك وقال إنه لو كان أبناء رعيته يحيَون حياة فاضلة، لما كان ليَهتمَّ كثيراً بخصوص جهلهم التام تقريباً بالكتاب المقدس. ولكنه كان قلقاً، لأنه لم تكن لديهم مشكلة في تذكر أسماء الخيول وراكبي العربات الذين كانوا يتسابقون في المدرَّج ذلك الأسبوع، كانوا يعرفون الكثير من عبارات الأغاني البذيئة التي تلقّنوها في المسرح، ولكنهم كانوا شديدي الجهل بالكتاب المقدس، حتى إنهم كانوا عاجزين حتى عن اقتباس مزمور واحد. لم تكن لديهم أية صعوبة في الجلوس لساعات في المسرح لمشاهدة مسرحيات وثنية لاأخلاقية، ولكنهم كانوا يشكون من التعب والملل إذا طالت مدة عظته. لذا فإن مسيحيي ذلك الوقت لم يكونوا كمسيحيي العصور السابقة، الذين كانوا عرضة للاضطهاد. لم تكن المسيحية مشروعةً فحسب، بل كانت الدين الرسمي للإمبراطورية، وأصبح الناس متهاونين تماماً. لذا فعوضاً عن تجنب التأثيرات الشريرة والعادات الفاسدة للثقافة السائدة، والتي كانت ما تزال متأثرة بشدةٍ بالوثنية، (لأنه كان لا يزال هناك الكثير من الوثنيين)، واصلت غالبية رعية الذهبي الفم هذه الأمور. لقد أقاموا حفلات بذلك، تمتعوا بهذه الأنواع من التسلية اللاأخلاقية، وكان هناك تهديد الهرطقة. أعظم تهديدٍ في ذلك الوقت كان الأريوسية، التي قالت بأن المسيح لم يكن إلهاً مساوياً للآب، بل كان بالأحرى مخلوقاً. قادَت الهرطقةُ ونمطُ حياة الناس الذهبيَ الفم إلى التأكيد على دراسة الكتاب المقدس، على أمل أن تُبطِلَ قراءةُ الكتاب المقدس هذه التأثيرات الشريرة وتجتذبَ انتباه رعيته مجدداً إلى الحياة الروحية.

لقد آمن الذهبي الفم، وغالباً ما صرَّح، أن دراسةً مُجدَّةً ومتعمقة للكتاب المقدس يمكن أن تعضد خلاص المرء، إنْ لم تؤكدْه عملياً. في الواقع، كانت لديه قناعة بأنه يستحيل ألا يخلُصَ إنسانٌ إذا كان منتبهاً لكلمة الله في الكتاب المقدس، إذ إنه [الكتاب المقدس] يقدسُ الشخص الذي يقرؤه. لا يمكنُ لِمَن يدرسُ الكتابَ المقدس أن يبقى في حالة روحية رديئة، بل سيتحسنُ بالتأكيد وينال الكثير الكثير من البركات. هناك مقطع جميل في عظته الثانية والثلاثين حول إنجيل يوحنا، وأريد أن أقتبس لكم منها. استمعوا إلى هذا: "قدس نفسك، قدس جسدك بحفظ هذه الأفكار دوماً في قلبك وعلى لسانك. فإنه إذا كانت اللغة البذيئة تُدنِّس وتستحضر الأرواح الشريرة، فمن الواضح أن القراءة الروحية تقدس القارئ وتجتذب نعمة الروح [القدس]". لذا، فإن القراءة الروحية تقدسنا. من المثير للاهتمام كيف أنها لا تقدس نفسنا فحسب، بل تقدس الجسد أيضاً. لذا فإن قراءة الكتاب المقدس لها تأثير أسراريّ. إنها تجتذب نعمة الروح [القدس]. يا له من أمر جميل! لمَ لا يرغب كلٌّ منا

في قضاء وقته، عالأقل بعض الوقت كلَّ يوم، في قراءة الكتاب المقدس؟ لا يمكننا عادةً الحصول على المناولة المقدسة يومياً، ولكنْ يمكننا قراءة الكتاب المقدس كل يوم.

والآن، ما الذي قاله الذهبي الفم أيضاً حول محتوى الكتاب المقدس، ولماذا هو نافع؟ لأنه، بالطبعِ، يحفظُ من التأثيرات الشريرة. إذا خرجنا إلى العالم وكُنا عُرضةً لهذه التأثيرات، فإن قراءة الكتاب المقدس تساعد في حمايتنا من هذه الأمور. إنها تحمينا أيضاً من العقائد الهرطوقية. تُقدمُ لنا الإرشاد وتمنحُنا التعزية في الأوقات الصعبة. تُقدمُ أمثلةً عن أناسٍ فاضلين عاشوا في ظروفٍ متنوعة، و قد حُفِظَتْ قصصُ حياتهم لنا في الكتاب المقدس كأمثلةٍ ليَقتديَ بها المسيحيون. سأضربُ لكم حولَ ذلك مثالاً واحداً يرد كل سنة خلال الأسبوع العظيم المقدس. أحد الأمثلة التي لدينا عن الحياة الفاضلة هو يوسف من العهد القديم، يوسف الذي ازدرى استدراجات المرأة المصرية الشريرة. هذا واحدٌ فقط من الأمثلة الكثيرة لأناسٍ فاضلين مُقدَّمين لنا في الكتاب المقدس. وهناك أيضاً أناس أشرار وأعمال خاطئة [مذكورة] في الكتاب المقدس، ولكن هذه مذكورة لإنذارنا لئلا نحتذي بها. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أيضاً أن الكتاب المقدس يحوي علاجاً لكل مرضٍ روحي، إلى جانب إرشادٍ لكل فضيلة.

الآن، لا شك بأنه، أكثر من أي أبٍ آخر، شجع الذهبي الفم رعيته على قراءة الكتاب المقدس. قليلون تبعوا نصيحته، ولكنْ فلنواجِه الأمر، معظم الناسِ اكتفوا بتقديم مبرراتٍ لعدم قدرتهم على قراءة الكتاب المقدس. والآن أود أن أستعرض بعض تلك الأعذار معكم، ويمكنكم أن تروا كم أنها مماثلة للأعذار التي لدينا اليوم لعدم قراءة الكتاب المقدس. العذر الوحيد الذي لن تجدوه هو على الأرجحِ العذر الذي تتوقعونه. معظم الناس يظنون بأن الناس في العصور القديمة لم يعرفوا القراءة، أو أن معظمهم لم يجيدوا القراءة. يفترض الناس بأن ذاك قد يكون العذر الأول الذي قدمته رعية الذهبي الفم لعدم قراءة الكتاب المقدس.

في الحقيقة إن مستوى معرفة القراءة والكتابة في العصور القديمة هو موضوعٌ نوقش بشدة بين المؤرخين، ونحن لا نعرف حقًا مدى ارتفاع معدلات معرفة القراءة والكتابة في العصور القديمة. ولكني سأقول لكم، من خلال قراءة عظات الذهبي الفم – وقد قرأت المئات منها – يبدو أن مستوى التعليم كان عالياً جداً في أنطاكية والقسطنطينية، لأنَّ [الذهبي الفم] غالباً ما يرُدُّ على الأعذار التي يقدِّمها الناس لعدم قراءة الكتاب المقدس، وفي جميع المرات التي ناقش فيها تلك الأعذار، وجدْتُ حالةً واحدة فقط يذكرُ فيها أنه ربما كان أحدُهم لا يستطيع القراءة؛ ولا يبدو أنه يلمِّحُ إلى أن ذلك بسبب كَونِ [ذلك الشخص] غير مُتعلم، بل ربما لأنه يعاني من عجزٍ أو ضعف في النظر، إلخ. وحتى في تلك الحالة لا يعذره لعدم القراءة. يقول: "دع أحدهم يقرأ لك"، مما يدلُّ على أنه كان هناك أحدٌ آخر في المنزل يمكنه قراءة الكتاب المقدس له.

إذن، ما هو العذر الأول الذي قدمته رعية الذهبي الفم لعدم قراءة الكتاب المقدس؟ كان العذرُ الأول، بكل بساطة هو: "ليس لدي كتاب مقدس". أليس ذلك مثيراً للاهتمام؟ لا يمكننا بالتأكيد تقديم ذلك العذر اليوم، أليس كذلك؟ قبل اختراع آلة الطباعة، كانت الكتب غالية الثمن لأنه كان ينبغي نسخها باليد. كان ذلك باهظ الثمن ومرهقاً للغاية ويستغرق وقتاً طويلاً. نسمي تلك النسخ اليدوية للكتب: مخطوطات، وما يزال لدينا

الكثير الكثير من مخطوطات الكتاب المقدس، من تلك النسخ اليدوية. قلة قليلة من الناس امتلكوا مخطوطاً حتى لسفرٍ واحدٍ من الكتاب المقدس. في بعض الأحيان كان الأثرياء يقتنون أناجيل جميلة بصفحاتٍ بنفسجية وحروفٍ من ورق الذهب أو ورق الفضة، ولكن هؤلاء قد احتفظوا بتلك الأناجيل كرمز للمكانة، مثلما قد يشتري أحدهم اليومَ سيارة باهظة الثمن. ولكنْ حتى أولئك المسيحيون الذين امتلكوا تلك الأناجيل الغالية الثمن لم يفتحوها مُطلقاً لقراءتها، وقد تشكّى ذهبي الفم من ذلك بالطَّبع. والآن، ماذا عن الفقراء؟ تم تقديرُ كلفة العهد الجديد بأنها كانت مساوية لمُرتَّب شخصٍ لسنة كاملة، لذا فقد كان باهظ الثمن. ولكنْ، حتى الفقر لم يكن أمراً يقبله الذهبي الفم كعذر. لقد أشار إلى أنَّه، إذا احتاج أحدٌ ما شيئاً بشدَّة، كأداةٍ لعَملِه أو لتجارته أو لصمودِه المالي، فسيجد طريقة للحصول عليه. بل قال إن البقاء الروحي لَأكثرُ أهمية، وينبغي أن يكون أولويةً حتى بالنسبة للفقراء، لذا لم يكن هناك عذر لعدم اقتناء سفرٍ واحدٍ على الأقل من الكتاب المقدس. يقول الذهبي الفم إنه، إذا لم يمكن بإمكانك شراء العهد الجديد كاملاً، فاشترِ إنجيلاً واحداً على الأقل واقرأه على الدوام. والآن تخيَّلوا مدى توفُّر الكتب المقدسة اليوم والمقدرةِ على اقتنائها [لانخفاض ثمنها]. يمكنكم الذهاب إلى أي متجر كتب مستعملة وإيجاد كتاب مقدس بخمسين سنتاً أو دولار واحد. كم كان الآباء ليُصدَموا ويُذهلوا لاكتشافهم مدى نُدرة قراءة المسيحيين للكتاب المقدس، حتى اليوم!؟ كم سيلومونا أيها الإخوة والأخوات العزيزات؟ في الوقت الذي كان اقتناء الكتاب المقدس يكلف ما يعادل أجر سنةٍ، والناس لم يقرؤوه، ما الذي سيمكننا قوله بخصوص أنفسنا اليوم؟ بالطبع، لا يوجد عذر.

العذر الثاني، وهو شائع جداً بالنسبة لنا اليوم، كان: "لا وقت لدي لقراءة الكتاب المقدس". عندما شجع الذهبي الفم رعيته على قراءة الكتاب المقدس قالوا: "لا وقت لدينا. لسنا رهباناً. لا نملك الوقت لدراسة الأسفار المقدسة". بالطبع أجاب الذهبي الفم بأن لديهم الوقت للأباطيل العالمية، يجدون الوقت للقاء أصدقائهم، لارتياد الحفلات والمسارح والسباقات. يمضون النهار كله في حلبة السباق! وكانوا يعرفون كافة التفاصيل حول المتسابقين وقادة المركبات والخيول، إلخ. ولكنهم لم يعرفوا شيئاً على الإطلاق عن الكتاب المقدس. لم يكونوا يعرفون من هم الأنبياء، لم يعرفوا عدد الأسفار في الكتاب المقدس. سأقتبس لكم ما قاله [الذهبي الفم]: "إذا سألتَهم من هو عاموس، من هو عوبديا، أو ما عدد الأنبياء أو الرسل، لا يمكنهم حتى فتح أفواههم. ولكن في ما يتعلق بالأحصنة وراكبي العربات، فإن بإمكانهم تأليف محاضرةٍ أذكى من السفسطائيين والخطباء". وبالطبع يبقى الأمر ذاته صحيحاً جداً لنا اليوم أيها الإخوة والأخوات الأعزاء. نقول بأن لا وقت لدينا، ولكننا نجد وقتاً لكل شيء. نجد الوقت للعب الغولف، نجد الوقت للقاء أصدقائنا، لدينا الوقت لارتياد السينما، نجد وقتاً لمشاهدة التلفاز ومعظمنا يشاهد التلفاز يومياً لساعتين على الأقل. هل بإمكاننا أن نقول بصدقٍ أنه ليس لدينا ١٥ دقيقة لنفتح الكتاب المقدس كل يوم أثناء ساعة الغداء؟ لدينا عطل نهاية الأسبوع. لم يكن لدى الناس حينها [أيام الذهبي الفم] عطلة نهاية الأسبوع، لم يكن لديهم يوم عطلة. لذا من الواضح أنه حتى نحن لا نملك أي عذر لعدم قراءة الكتاب المقدس، لأنه بإمكاننا دوماً إيجاد وقت. وبالطبع، يقضي

الكثيرون منا ساعاتٍ في التواصل كل أسبوع. هناك أناجيل مسجلة على أشرطة أو على CD، لذلك يمكننا إيجاد الوقت إذا كان ذلك مهماً لنا.

والآن فلنتطرَّقْ إلى العذر الثالث. ليست هذه الأعذار مُرتبة بالضرورة، ولكنْ هذه هي الأعذار التي جمعتُها من عظات الذهبي الفم التي قرأتُها على مر السنين. هاكُم عذراً آخر: "لا حاجة لي لقراءة الكتاب المقدس لأني لست راهباً أو كاهناً". قال الذهبي الفم إن رعيته كانوا يحتاجون إلى قراءة الكتاب المقدس أكثر بكثير من الرهبان، لأنهم لم يُمضوا أيامهم في الصلاة كما يفعل الرهبان، بل عوض ذلك كانوا منشغلين باستمرارٍ بالاهتمامات الدنيوية. لذا فبدلاً من أن تكون قراءة الكتاب المقدس ضرورية للرهبان، فإنها ضرورية لبقيّتنا نحن الذين لسنا رهباناً، لأننا نعيش في العالم ونصاب بجروحٍ روحية كل يومٍ، وإننا في أمس الحاجة للدواء الذي يقدمه الكتاب المقدس. غالباً ما دعا الذهبيُ الفم الكتابَ المقدس خزانة أدوية فيها علاجات لكل أمراضنا. لذلك فالقلق الملحّ بشأن العمل والمهنة لم يُعفِ الناس من واجب دراسة الكتاب المقدس. عوضاً عن ذلك قال الذهبي الفم إن هذه الظروف تشير إلى حاجة أعظم لدراسة الكتاب المقدس، لأن الناس المنشغلين بالأعمال مستعبَدون بشكلٍ خطيرٍ للنشاطات الدنيوية. إذا لم يكن بإمكانهم إيجاد وقتٍ للانصراف إلى أهم الأمور على الإطلاق، أو إذا اِعتبروها غير مهمة، فإنهم في ورطة حقاً.

حسناً، وماذا عن الالتزامات العائلية؟ إن من لديهم شريك حياة وطفل يحتاجون بشكلٍ خاصٍ إلى دراسة الكتاب المقدس، والذهبي الفم ساءل الأهل بشكلٍ خاص. كيف يمكن للوالد التأكد من ذهاب طفله إلى المدرسة – أو، يمكننا اليوم أن نضيف إلى ذلك أننا نجعل أولادنا يتعلمون لغاتٍ أجنبيةً والعزفَ على آلات موسيقية وينضمون إلى فرق رياضية. إنهم يقومون بكل هذه الأمور. إننا نحرص على أن يحصل أولادنا على خلفيةٍ كهذه لإعدادهم للحياة، ومن ثمَّ نهمل تربيتهم في مخافة الرب. كان الآباء في زمن الذهبي الفم يقولون: "لا أريد أن يقرأ طفلي الكتاب المقدس"، أو "لا حاجة له بقراءته لأنه لن يصبح راهباً". وكان الذهبي الفم يقول للآباء: "قراءة الكتاب المقدس لن تجعل من اِبنكم راهباً؛ ستجعله مسيحياً". يا لها من فكرة جميلة.

عذر آخر كانت الرعية تقدمه هو: "لا أفهم ما أقرأ". وهذا أيضاً أمرٌ يقوله الكثير من الناس اليوم. يفتحون الكتاب المقدس، وربما بالفعل لا يفهمونه. ما الذي قاله **الآباء** حول هذا؟ اتفق جميع **الآباء** على أن الكتاب المقدس قد كُتِبَ بطريقةٍ تمكّنُ الجميع من فهمِ شيءٍ مما يقرؤون وجَنيِ فائدة عظيمة. وهذا صحيح. أحياناً نقرأ أجزاءً من الكتاب المقدس ولا نفهمها حقيقةً، ولكنَّ هناك أجزاءً كثيرة يمكننا فهمها، لذلك لا يمكننا القول: "حسناً، إنني لا أفهم شيئاً"، ومن ثمَّ ننسى الأمر [أي نتخلى عن قراءته كلياً]. في الواقع، الكتاب المقدس مكتوب بلغة بسيطة جداً. ليس مكتوباً بلغة معقدة. يبدو لنا صعباً أحياناً، لأننا لا نقرؤه، لذلك فهو غريبٌ قليلاً. ولكنَّ الحقيقة هي أن الكتاب المقدس كتبه أناس عاديون بلغة عادية، لأن الكتاب المقدس هو فِعلُ تنازُلِ الله تجاه البشرية. [**الآباء**] قالوا هذا باستمرار؛ استعملوا الكلمة "synkatavasis" التي تعني أن الله "تنازل" إلى البشرية. ليست لذلك دلالة سلبية مثل: "الله ينظر بازدراء" إلى البشرية، بل تعني بأن الله يُفر ذاته لمستوى البشرية. قال **الآباء** بأن الكتاب المقدس هو الطريقة التي يعلِّمنا بها الله حول نفسه بلغةٍ بشرية، بلغةٍ وتعابير

ليست فعلاً لائقة بالله. الله لا يُسبَر غَوره، ولكنه يسمح لنا باستخدام لغة بشرية للتكلم عنه. وفي الواقع إن الله يتحدث إلينا من خلال الكتاب المقدس بطريقةٍ هي بالنسبة له حديث أطفال. الذهبي الفم قال هذه، وإنَّها لصورة جميلة. الكتاب المقدس هو تنازل الله للعجز والضعف البشري. من خلال الكتاب المقدس، يستجيب الله لحاجات البشر عبر لقائهم عند مستواهم، بنفس الطريقة التي تحاول فيها أن تفسّر شيئاً لطفلٍ بلغةٍ يفهمها. هذا ما يقوم به الله من أجلنا من خلال الكتاب المقدس. الكتاب المقدس وأسلوبه التعبيري هما أدنى بكثير من جلال الله. هذا ما قاله **الآباء**. ولكن الكتاب المقدس يستخدم لغة وصوراً ومفاهيم وقصصاً بشريةً ليتمكن الناس من فهمها، لأن الكتاب المقدس هو تعبير عن محبة الله للبشرية. لذا فإنها فكرة جميلة جداً.

...

في الواقع يقول **الآباء** – وهذا صحيح – إن الكتاب المقدس كتبه أناس بسطاء. لم يرتَدِ الرسل الجامعة؛ استخدموا لغة بسيطة. اللغة اليونانية في الكتاب المقدس هي اليونانية الاعتيادية المحكية كل يوم. لم تكن صعبة؛ في الواقع، كثيرون ممَّن قرؤوا الكتاب المقدس، وخصوصاً أعداء المسيحية، كانوا يقرؤونه ليهاجموه، قائلين إنَّه عامّي (شائع، متدنّي العيار)، ومليء بقصص أناسٍ خطأة، واليونانية فيه ليست جيدة. كثير من الناس هاجموا الكتاب المقدس لأنهم قارنوه بلغة الفلسفة والأفكار المتغطرسة واليونانيةِ الأنيقةِ والبليغةِ التي لأُناسٍ أمثال أفلاطون وأرسطو وفلاسفة يونانيين آخرين. لا يشبه الكتاب المقدس أياً من ذاك. لقد كُتب بأسلوب بسيط حتى يتمكن الجميع من فهم شيءٍ مما قرؤوه إذا ما حاولوا. ولكن في نفس الوقت، فإن الكتاب المقدس عميق بما يكفي ليحوز اهتمامنا. وبالتالي فإننا نفهم شيئاً مما نقرؤه، ولكننا لا نفهم كل شيء. وبحسب الذهبي الفم، فإن ذلك لأن الروح القدس أراد أن يشجعنا على قراءة الكتاب المقدس بعمقٍ أكبر ودراسته وتفتيشه، حتى نقترب منه [من الروح القدس] أكثر. لذلك إن لم نفهم كل شيءٍ قرأناه على الفور، فإننا بحاجة لمعاودة قراءته مجدداً. ليس كلُّ شيءٍ واضحاً عند القراءة الأولى، يقول الذهبي الفم، وذلك ليُضطرَّنا للدراسة ويمنعنا من أن نصبح كسالى.

كانت هذه هي الأعذار التي قدمتها رعية الذهبي الفم.

(الجزء الثاني)

كان الذهبي الفم مقتنعاً أن الإنجيل يساعدنا لنَيل خلاصنا. قال ذلك في عظته الـ ٥٣ حول إنجيل يوحنا: "إذا كنا مستعدين لفحص الكتاب المقدس بهذه الطريقة، بعناية ومنهجية، فسنكون قادرين على نيل خلاصنا. إذا انشغلنا به بشكل متزايد، فسنتعلَّم صحة العقيدة وطريقة حياة مستقيمة" ... آمن الذهبي الفم أن قراءة الكتاب المقدس تقدّس القارئ... من عظته الـ ٣٢ حول إنجيل يوحنا: "علاوة على ذلك، إذا كان الشيطان لا يجرؤ على دخول منزلٍ فيه إنجيل، فإنه بالأكثر لن يدخل مطلقاً نفساً تحمل أفكاراً كهذه، ولن تقترب من [النفس] روح شريرة، ولن تدنو منها طبيعة الخطيئة. حسناً إذن، قدس نفسك، قدس جسدك بحفظ هذه

الأفكار دوماً في قلبك وعلى لسانك. فإنه، إذا كانت اللغة البذيئة تُدنِّس وتستحضرُ الأرواح الشريرة، فمن الواضح أن القراءة الروحية تقدس القارئ وتجتذب نعمة الروح [القدس]".

آمن الذهبي الفم أن الكتاب المقدس كنز، وأن إهمال قراءته يسبب أذىً جسيماً. وذلك لأن معرفة الكتاب المقدس تحمينا، وجهلُه يسبب شروراً عظيمة. كان [الذهبي الفم] يرى أن المسيحيين الذين يعيشون في العالم بالأخصّ ينخرطون في حرب روحية بشكلٍ يومي. كان الكتاب المقدس حمايةً [لهم]، وبدون علمهم، كان الأمر أشبه بالذهاب إلى معركة بدون أسلحة. إحدى تشبيهات الإنجيل المفضلة لديه كانت أن يدعوَه خزانة أدوية تحوي علاجاتٍ لكل شدةٍ وحزن.

هذا ما قاله في عظته التاسعة حول رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي: "إذا ألمَّ بك حزنٌ، غُص في الكتاب المقدس كما في خزانة أدوية. خذ منه التعزية لشدَّتك، أكانت خسارةً أو موتاً أو تفجُّعاً في علاقات. أو بالأحرى، لا تغض فيه، بل خذه بالكُلِّية إليك، محتفظاً به في ذهنك". آمن الذهبي الفم أن الكتاب المقدس نوع من الدواء، ويمكنه أن يقدم فائدة جمة، وقارنه لا بخزانة أدوية فحسب، بل بصندوق كنزٍ أيضاً، وقال بأن الفائدة المجتناة من قراءة الأسفار المقدسة عظيمة ومعونتها كافية لكل حاجة. قال بأن معرفة الأسفار تمكِّننا من احتمال الصعوبات التي نواجهها في حياتنا. هاكُم اقتباساً آخر من عظته التاسعة حول الرسالة إلى أهل كولوسي: "كما أن الأغنياء بالمال يستطيعون احتمال الغرامات والأضرار، كذلك فإن الغني بعقائد الفلسفة" (وقصد بذلك المسيحية) "سيحتمل لا الفقر فقط، بل جميع الكوارث، وبسهولة أيضاً، أسهل مما يحتملها الإنسان الغني".

آمن الذهبي الفم أن جهل المسيحيين للكتاب المقدس هو خزي شديد. وآمن أيضاً أن المسيحيين كانوا مسؤولين عن حقيقة أن أكثر الوثنيين لم يعتنقوا المسيحية. وفي الواقع، كان المسيحيون مسؤولين عن التجاديف التي قالها الوثنيون عن المسيح. هذا ما قاله حول ذلك: "إنه لمثير للسخرية كيف أن من يدَّعي كونه مسيحياً غيرُ قادر على النطق بكلمةٍ دفاعاً عن إيمانه. إن هذا ما يمنع الوثنيين من إدراك حماقة ضلالهم بسرعة. وبقدر اعتمادهم على الباطل، فإنهم يبذلون قصارى جهدهم لإخفاء دناءة تعاليمهم، فيما نحن، حُماةَ الحقيقة، لا يمكننا حتى فتحُ أفواهنا. ما الذي سيمنعهم من ازدراء ضعف عقيدتنا؟ ألنْ يتوصلوا إلى فكرة أن تعليمنا مخادع وأحمق؟ ألنْ يُجدِّفوا على المسيح على أنه مُدَّعٍ ومخادع يجعلنا بين أغلبية غبية ليدعمَ خداعه؟ ونحن مسؤولون عن هذا التجديف إنْ لم نكن مستعدين أن نكون في حالة تأهب للتكلم دفاعاً عن البرِّ، بل نصنِّف هذه الأمور على أنها فائضة عن الحاجة ونُعنى بالأمور الأرضية".

كم كان حكيماً. لقد آمن الذهبي الفم أن الكتاب المقدس وُجِدَ لهدف، وذاك الهدف هو خلاصنا. إذا كان الكتاب المقدس قد أعطيَ لخلاصنا، فإن تجاهله لهوَ شرٌ رهيب وإهانة لله الذي أعطانا إياه. هذا ما قاله الذهبي الفم

في عظته الافتتاحية حول الرسالة إلى رومية: "من هذا نشأت شرور لا عدَّ لها: من جهل الكتاب المقدس، ومن جراء ذلك تفشى وباء الهرطقات. من جراء ذلك هناك من يحيَون حياةً متهاونة. من جراء ذلك هناك أتعابٌ بدون فائدة. إذ إنه كما أن الرجال المحرومين من ضوء النهار لن يسيروا باستقامة، كذلك فإن أولئك الذين لا ينظرون إلى وميض الكتاب المقدس لا بدَّ وأن يُخطئوا بشكل متكرر ومستمر، لأنهم يسيرون في أسوأ ظلام".

لم يكن من المهم للراشدين فقط أن يدرسوا الكتاب المقدس، ولكنَّ الذهبي الفم يؤمن بأنه من المهم جداً أن يتم تعليم الأطفال أيضاً الكتاب المقدس، بدءاً من تعلُّمِ المزامير والتراتيل. يقول بأن الأطفال هم مثل النباتات، إذ بإعطائهم التغذية الملائمة في التربة ينمونَ ليكونوا حُكماء وأغنياء بمعرفتهم لإيمانهم. عليهم أن يبدؤوا بأمورٍ بسيطةٍ كالمزامير، وشيئاً فشيئاً يُسمَح لهم بمعرفة الأمورِ العُليا. كان من المهم إرشاد الأطفال المسيحيين في معرفة الأسفار المقدسة، وليس فقط التركيز على تعليمهم الدُّنيوي. لم يكن الذهبي الفم يعارض تعليمهم مِهنةً أو أشياء دنيوية أخرى، ولكنْ، لا يجب أن تُهمَل معرفتهم للكتاب المقدس. لقد أخبر الأهالي بأنه ليس الرهبان فقط هم من يحتاجون إلى دروسٍ من الكتاب المقدس، بل من بين جميع الناس، فإن الأطفال الذين على وشك دخول العالم [مُعترَك الحياة] هم بالأخص من يحتاجون الكتاب المقدس.

جميع **الآباء** أدركوا قيمة الكتاب المقدس وشجعوا المسيحيين على قراءته بانتظام... لم يكونوا فقط بفكرٍ واحدٍ فيما يخص العقيدة، بل كانوا أيضاً بذاتِ العقلية على نحوٍ ملفتٍ فيما يتعلق بوجوب قراءة المسيحيين للإنجيل وتفسيره، وقدموا بعض النصائح المشتركةِ العملية جداً...

قد يفاجئكم الأمر الأول. كانت نصيحتهم الأولى أن نكون منتبهين في الكنيسة. إن أحد أسباب إسدائهم هذه النصيحة بالطبعِ هو أن معظم المسيحيين لم يملكوا أي نسخة من أي سفر من الكتاب المقدس خلال العصر الذهبي **للآباء** في القرن الرابع للميلاد، وذلك لأن الكتاب المقدس كان باهظ الثمن. حتى نسخة من سفر واحدٍ من الكتاب المقدس، مثل إنجيلٍ، كانت غالية الثمن، لأن جميع الكتب كانت تُنسخ باليد، وكان من الضروري وجودُ كَتَبةٍ مُدرَّبين لصنع نسخٍ كهذه. لذلك نصح **الآباء** المسيحيين على الأقل بإيلاء انتباهٍ شديدٍ لقراءة الأسفار المقدسة في الكنيسة. كان الذهبي الفم على قناعة بأن على المسيحي أن يقوم بكل ما هو ضروري للحصول على نسخته الخاصة من سفرٍ واحدٍ على الأقل من الكتاب المقدس، ولكنّه أشار ناصحاً إلى أنه، إن لم يقرؤوا الكتاب المقدس في المنزل، فإن المسيحيين ما زالوا سيجنون فائدة كبيرة إذا كانوا، على الأقل، يولون انتباهاً في الكنيسة.

لهذا يرتِّل الكاهن: "حكمة! لنصغِ!". هذا ما قاله [الذهبي الفم] عن الإصغاء بانتباه إلى القراءات في الكنيسة: "إذا أتى إنسانٌ إلى هنا بجدية ، على الرغم من أنه لا يقرأ الكتاب المقدس في المنزل ، وإذا أولى انتباهه لما يقال هنا [من قراءات]، فسيكون قادرًا في غضون عام واحد على التعرف عليها بشكل كبير، لأننا لا نقرأ هذه

الأسفار المقدسة اليوم، وغداً [نقرأ] أخرى مختلفة تماماً، وإنما نقرأ دائماً نفس المقطع وبشكل متتالٍ. ولكنْ، رغم ذلك، فإن لدى الكثيرين موقف لامبالٍ لدرجة أنهم بعد هذه القراءة لا يعرفون حتى أسماء الأسفار، ولا يخجلون. ولا يرتجفون من الخوف لأنهم أتوا بلا مبالاة إلى سماع كلمة الله. من ناحية أخرى، إذا قام موسيقي أو راقصة أو أي شخص آخر مرتبط بالمسرح باستدعائهم إلى المدينة ، فإنهم جميعًا يسارعون بشغف ويشكرون الشخص الذي دعاهم ويقضون نصف يوم كامل مركزين انتباههم على المؤدي حصرياً. ولكنْ، عندما يخاطبنا الله من خلال الانبياء والرسل، نتثاءب ونملُّ وننعس". كان هذا اقتباساً من عظات الذهبي الفم حول إنجيل يوحنا.

لقد نصحنا **الآباء** بوتيرةٍ واحدةٍ أن نواظب على قراءة ودراسة الكتاب المقدس. نصحوا بأن نواصل القراءة حتى ولو لم نفهم كل شيء. كلما درستَ [قرأت] أكثر، كلما سهُلَ عليك الفهم. اقرأ بالكامل، و احفظ في ذاكرتك ما استطعت. هناك العديد من الأجزاء التي يمكن للجميع فهمها. في الواقع، قال **[الآباء]** بشكلٍ متكرر إن الكتاب المقدس قد كُتِب بالأحرى بلغةٍ دُنيا، بلغةٍ شائعة اعتيادية، لكَيما يتمكن الجميع من فهمِ شيءٍ مِما يقرؤون. عليك قراءة ما هو غير مفهومٍ مراراً وتكراراً، وإذا بقي غير مفهومٍ فعليك الرجوع إلى معلمٍ للكتاب المقدس للمساعدة. القديس يوحنا الدمشقي كتب هذا. قد شبَّه دراسة الكتاب المقدس وقراءته بباب... "دعونا لا نقرَع بشكلٍ عَرَضيٍّ، بل بجدية ومثابرة، ولا نفقِدَنَّ شجاعتنا أثناء القرع، لأنه هكذا سيُفتَح لنا. إذا ما قرأنا مرة ثم مرة ثانية، وما زلنا لا نفهم ما نقرؤه ، فلا تثبُطنَّ عزيمتنا. فلنثابر بالأحرى. فلنتأمَّل ونطلُب، لأنَّه مكتوب: " اِسْأَلْ أَبَاكَ فَيُخْبِرَكَ، وَشُيُوخَكَ فَيَقُولُوا لَكَ" (تثنية ٧:٣٢). يؤيد المغبوط أوغسطين أيضاً هذه الفكرة، وإليكم ما يقوله: "ولكنْ فوق كل شيء تذكَّر هذا: لا تنزعج بسبب الكتابات المقدسة التي لم تفهمها بعد، ولا تنتفخ بالكبرياء بسبب ما تفهمه. ولكنْ، ما لا تفهمه انتظره [انتظر فَهمَه] بطاعة، وما تفهمه تمسّك به بمحبة".

ثالثاً، ينصح **الآباء** بأن نتأمل ما نقرؤه. علينا التفكير الكتابات المقدسة التي نقرؤها. لا يريدنا الله أن نكتفي بسماع "الكلمات" في الكنيسة، أو بقراءة " العباراتِ" في الكتاب المقدس، بل أن نتفكَّر فيها أيضاً. ينصح **الآباءُ** المسيحيين أن يحفظوا غيباً من الكتاب المقدس قدر الإمكان، ليكونوا قادرين على التأمل في الكتابات المقدسة مِراراً وتكراراً والاستفادة منها. يقول القديس سمعان اللاهوتي الجديد: "بالنسبةِ للنفس التي اختارت أن تتأمل نهاراً وليلاً في ناموس الرب، لا يوجد ما هو أكثر نفعاً من تفتيش الكتب المقدسة. إن صورةَ نعمة الروح الموجودة فيها تغمر حواس الذهن بالكمال، بإبعادها تماماً عن الحقائق الأرضية والأمور المنظورة، رافعةً الذهن إلى مستوى الملائكة ومُقرِنةً إياه بحياة الملائكة أنفسهم".

كما نصح **الآباء** الجميعَ بتعلُّمِ ودراسة الكتاب المقدس، لا دراسة كلماته وحسب، بل أيضاً قراءة الكتب التي تتحدث عن الكتاب المقدس نفسه. ليس الكتاب المقدس للقراءة وحسب، بل للدراسة أيضاً. كثيراً ما كرر

الذهبي الفم صدى وصية الرب أن :"فتشوا الكتب" (يوحنا ٥:٣٩). لقد فسر هذا القول بمعنى أنه يجب علينا أن ندرس [الكتاب المقدس] بانتباه ودقة. قال: "علينا أن ندرسه باجتهاد، ليس بشكلٍ سطحي أو ظاهري، لأن معانيه لا يُعبر عنها بسطحية، بل إنها، نظيرَ كنزٍ، مدفونة على عمقٍ سحيق". إن الدراسة العلمية للكتاب المقدس ليست شيئاً جديداً تم اختراعه في الجامعات في القرن العشرين. إن الدراسة العلمية الجدية الأكاديمية للكتاب المقدس كان يقوم بها **الآباء** أنفسهم. كما ترون، هذا هو التقليد الأرثوذكسي. يظن الكثير من الأرثوذكسيين أن كل ما نحتاجه هو قراءة [كتابات] **الآباء** وتكرار ما قالوه عن الكتاب المقدس، وأن الدراسة الجدية للكتاب المقدس من وجهة نظر علمية أو أكاديمية ليس أمراً أرثوذكسياً. ولكن ذلك أبعد ما يكون عن الحقيقة. لم يطلب منا **الآباء** أن نكتفي بالقراءة، بل أن ندرس الكتاب المقدس بصيغٍ أخرى خارج التقليد المقدس. أي أن نقرأ كتباً عن الكتاب المقدس، لا لنكرر كالببغاوات ما قد سبق وقيل عن الكتاب المقدس. في الواقع، لقد انزعج الذهبي الفم كثيراً من رعيته لأنهم لم يساعدوه بدراسة الكتاب المقدس بأنفسهم. قال: "إنني أتحدث إليكم هنا أسبوعاً بعد أسبوعٍ بعد أسبوع، وأنا أقوم بكل العمل!" هل يمكنكم تخيل ذلك؟ هل يمكنكم تخيل الذهبي الفم يعظكم كل أسبوع، ويكون معلمكم، ويخبركم بأن الاستماع إليه لا يكفي بل إن عليكم أخذ زمام المبادرة بأنفسكم لدراسة الكتاب المقدس؟ هذا ما قاله لرعيته.

حثَّنا **الآباء** أن ننتبه تحديداً إلى هذه الأمور [أي تفسير الكتاب المقدس] من وجهة نظر الكاتب، والإطار التاريخي، والجمهور [الذي يتوجه إليه الكتاب أو السفر]، والنوع الأدبي، وعناصر أدبية أخرى في النص، أو سياق الكتاب أو الأصحاح. جميع هذه الأمور شديدة الأهمية في دراسة الكتاب المقدس، وقد قال الذهبي الفم بأنه إذا لم نعرف وندرس هذه التفاصيل حين نشرع في قراءة الكتاب المقدس، فذلك كأننا أُعطِينا أدواتٍ للتنقيب عن الذهب، ولكننا أهملناها. لقد تركنا تلك الأدوات؛ لا ندري كيف نستعملها، لذلك فإن كل ما ننقبه هو التراب. يتفق القديس أثناسيوس مع هذا الرأي، إذ يقول التالي: "إنه لَحقٌّ وضروري فيما يخص كل الكتاب المقدس أن نأخذ بعين الاعتبار، وبأمانة، الزمن الذي كتب فيه الرسول، والشخص [المُرسَل إليه]، والهدف، لئلا ينحرف القارئ بسبب الجهل عن المعنى الحقيقي، إذا ما فاته أي من هذه الجوانب أو أي تفصيل آخر". إذن، ما يقوله القديس أثناسيوس هو أنه من الضروري دراسة السياق الذي كتبت فيه الأسفار المقدسة؛ وكل سفرٍ على حدة له سياقه التاريخي وهدفه ومؤلفه والجمهور الموجه إليه. ذلك أمر نتعلمه بشكلٍ مستقل عن دراسة **الآباء**. بالطبع هم يذكرون هذا أيضاً، ولكن ذلك لا يُعفينا من دراسة هذه الأمور بأنفسنا.

بالطبع، جميع **الآباء** متفقون أيضاً على أنه، لتجنُّبِ الهرطقة عند قراءة الكتاب المقدس، على المرء أن يفسر الأسفار تبعاً للتقليد المقدس، أي وفقاً لما علّمه الرب، وبشر به الرسل، وتم نقله عبر الكنيسة من جيل إلى جيل. أكد القديس أثناسيوس أن التقليد المقدس هو الشاهد الأصدق والأقدم للرب والرسل، وقال "فلنلاحظ أن

تقليد الكنيسة وتعليمها وإيمانها ذاته منذ البداية قد أُعطي من الرب وبشَّر به الرسل وحفظه **الآباء**". يتفق جميع **الآباء** بالطبع على أن أهمية التقليد المقدس تكمن في إرشاده لنا نحو نمط التفسير الصحيح. يقول القديس فينسنت ليرنز بأن الكتاب المقدس عميق لدرجةِ أنه لا يُفسَّر بنفس المعنى من قِبَل الجميع. يفهم شخصٌ النصَّ بمعنىً ما، فيما يظن شخصٌ آخر أنه يعني أمراً آخر، وبما أنه توجد تفسيرات عديدة بتعدد المفسرين، ينبغي علينا فهم الكتابات بما يتوافق مع التقليد الأرثوذكسي. لقد عاش [القديس] منذ زمنٍ بعيدٍ جداً، فتخيلوا كم لدينا من التفسيرات الإضافية اليوم، إذ لدينا اليوم الكنيسةُ الكاثوليكية والكنائس البروتستانتية، والعديد العديد من التفاسير. لذا فإن الكتاب المقدس في الحقيقة ليس ذاتي التفسير [أي لا يفسر نفسه بنفسه]، فلنُعبر عن الأمر بهذه الطريقة. علينا تفسيره، وبانتباه شديد. بالنسبة **للآباء**، ليست المعرفة اللاهوتية والتقنيات التفسيرية وحدها كافية أبداً. قد تكون لديك المعرفة الصحيحة والتقنية الصحيحة، ولكن لم يكن من الممكن الاستغناء عن الاستعداد والنُضج الروحيَّين الملائمين للوصول إلى تفسيرٍ صحيح للكتاب المقدس.

إليكم بعض اقتراحات الآباء حول الترتيب الملائم لقراءة الكتاب المقدس. أولاً، على المرء أن يلتزم الصمت. يقول الذهبي الفم بأن صمت الشفاه والذهن مطلوبان لإدراك أسرار الكتاب المقدس. ثانياً، يقول إن على المرء أن يحوز نفساً نقية. يجب أن تتنقى النفس وتتطهر من الغضب والهموم الأرضية، وإلا فإن سماع أو قراءة الكتاب المقدس لن يعودا بنفعٍ كبير. يتفق القديس غريغوريوس اللاهوتي مع هذا، بأن الصحة الروحية للمرء تؤثر مباشرةً على قدرته على تفسير الكتاب المقدس بشكل صحيح. في الواقع، كثيراً ما يكرر **الآباء** هذا. علينا أن نصلي. هذا هو المقوِّم الثالث. لا بد من اليقظة والصلاة لفهم المقطع، هذا ما قاله الذهبي الفم لرعيته. ومجدداً، يتفق جميع **الآباء** حول أهمية الصلاة من أجلِ فهمٍ ملائم للكتاب المقدس.

المقوم الرابع قد يفاجئكم، وهو أن علينا أن نحيا حياة فاضلة. الطريقة التي نحيا بها تساعدنا أو تعيقنا عن فهم الكتاب المقدس. إن السلوك الجيد وإحراز الفضيلة ضروريان لفهم الكتاب المقدس، وأهم فضيلة هي التواضع. يقول القديس أوغسطينوس شيئاً جميلاً جداً حول ذلك: "كنت واهماً فيما مضى، إذ فيما كنت ما أزال طفلاً، حاولت البدء بإخضاع الكتاب المقدس لنقاش نقدي بدلاً من البحث التقيّ. عبر تراخيَّ الأخلاقي، سدَدْتُ طريقي ذاتَه إلى الرب. في كبريائي تجرأت على طلب ما لا يستطيع أحد إيجاده ما لم يمارس التواضع".

بتأكيدهم على قراءة ودراسة الكتاب المقدس، لم يكن **الآباء** يحاولون إنشاء جماعاتٍ من علماء الكتاب المقدس. لم يكونوا مهتمين بدراسة الكتاب المقدس لأجل الدراسة بحد ذاتها. ليست دراسة الكتاب المقدس أبداً مجرد مسعىً أكاديمي للمسيحي الأرثوذكسي. إن المعرفة والفهم المتزايدَين للكتاب المقدس ليس لهما فعلياً أي قيمة إن لم يستخلص المسيحيون منفعة روحية من قراءة الكتاب المقدس. حين نقرأ الكتاب

المقدس، فيجب أن يتغير سلوكنا وحياتنا كنتيجة لذلك. نبه الذهبي الفم رعيته إلى أن العقيدة الصحيحة والمعرفة الشاملة للكتاب المقدس عديمة القيمة إذا لم يُجسِّد المسيحيون الكتاب المقدس بأفعالهم. أود الاقتباس منه حول هذه المسألة : "حتى ولو امتلكنا الإيمان بتمامه ومعرفةً شاملة للكتاب المقدس، إذا كنا فارغين ومُفتقرين إلى الحماية الناجمة عن حياةٍ صالحة، فلن يوجد شيء يمنعُ أن نُطرحَ في نار الجحيم ويلتهمنا اللهيب الذي لا يطفأ إلى الأبد" . هذه فكرة تدعو للتيقُّظ بشدَّة. لذا فالمعرفة غير كافية، ينبغي أن تكون لدينا حياة صالحة أيضاً.

أيها الإخوة والأخوات، لقد كرّس **الآباء** أنفسهم لقراءة الكتاب المقدس، وشجعونا لنقوم بالمثل. إنهم متفقون في نصيحتهم لنا. أولاً أن نجعل الكتاب المقدس جزءاً مُكملاً لحياتنا، ثانياً أن نطبق ما نتعلم، وثالثاً، أن نُحسِّن أنفسنا روحياً من دروس الكتاب المقدس، لكي ننال الملكوت السماوي. عرف جميع **الآباء** من خبرتهم الشخصية قيمة دراسة الكتاب المقدس من قِبَلِ أي مسيحي يقرأ الكتاب ويدرسه بتواضع وتخشُّعٍ ومعرفة. أود الاقتباس من الذهبي الفم مرة أخرى: "فليسمع أولئك الذين بيننا، الذين يهملون قراءة الكتاب المقدس، إلى أي أذى نعرض أنفسنا، وإلى أي حِرمان".

[١] العبارة في النص الأصلي sexist وترجمتها الدقيقة هي "جِنسانيّة" أي مَن يأخذ قرارات أو يفكر على أساس الجنس وليس بالضرورة ذكورياً أو أنثوياً فقط (المترجم).

Source: Transcription of podcast by OrthoChristian.com, from “Search the Scriptures” podcasts on Ancient Faith Radio. https://www.ancientfaith.com/podcasts/searchthescriptures
Dr. Jeannie Constantinou (Presbytera Eugenia). Understanding the Bible Through the Fathers.
Part 1 available on https://pravoslavie.ru/101761.html
Part 2 available on https://orthochristian.com/101838.html

الإيمان والأعمال

د. جورج د. باناغوبولوس*

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

عدد غير قليل من اللاهوتيين الأرثوذكسيين في أيامنا يحاولون بشكل علني أو خفي التقليل من شأن التقليد الصحوي-الهدوئي والتقليل من أهمية الرهبنة في حياة الجسم الكنسي من خلال "التنديد" بالتقوى الفيلوكالية باعتبارها في المقام الأول "صلاتية" وعيش النسك كمحاولة "شخصانية الأعمال". وبهذه الطريقة، يبرزون في المقدمة، بوعي أو بغير وعي، النقد "المتكرر كثيراً" الذي أثاره البروتستانت ضد النسك الرهباني باعتباره "أخلاقيات الاستحقاقات"[١].

في ما يلي أحاول أن أبين من جهةٍ أن الموقف أعلاه غير مدعوم ومن جهة أخرى أن أصف بإيجاز تعليم الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة حول الإيمان والنسك أو، بعبارة أخرى، حول الإيمان والأعمال الصالحة من جهة التبرير والتقديس في المسيح. في هذا العمل، سأعتمد بشكل أساسي على الشهادات التي تمّ جمعها بشكل انتقائي من الأدب الفيلوكالي الأرثوذكسي، والتي سأفسّرها في ضوء العقلية (phronema) النبوية والرسولية، كما ينعكس ذلك في الكتاب المقدس ويتم اختباره باستمرار في الجماعة الكنسية.

١. الخلاص "بالإيمان من خلال عمل الوصايا" أو الطابع البولسي للتقوى الفيلوكالية

يرشدنا القديس غريغوريوس السينائي، أحد أكثر الشهود أصالة على تقاليدنا القديمة، في بحثنا الموجز: إن إتمام الوصايا يكشف عن الإيمان بالمحبة التي يُعمل على أساسها؛ إنه الإيمان الحي والخلاصي الذي يعمل به الروح في المؤمن[٢].

إن الفصل البروتستانتي للإيمان عن الأعمال غير معروف في التقليد الأرثوذكسي. يجب أن نفهم هذا بشكل صحيح: وفقًا للتقييم الأرثوذكسي، لا تبررنا أعمالنا. "البر الذاتي" هو تعليم مناهض للمسيحية بعمق: " قَدْ تَبَطَّلْتُمْ عَنِ الْمَسِيحِ أَيُّهَا الَّذِينَ تَتَبَرَّرُونَ بِالنَّامُوسِ. سَقَطْتُمْ مِنَ النِّعْمَةِ" (غلاطية٥:٤). بهذا يتضح ما يتم اختباره باستمرار في تاريخ الرهبنة الأرثوذكسية، أي أن النسك و"آلامه" لا يُفهمان لأنهما استحقاق، بل كوسيلة للشفاء تستخدمها الكنيسة في سياق مواهبي في المقام الأول. إن تبريرنا وخلاصنا هما من "الإيمان العامل بالمحبة" (غلاطية ٥:٦).

من المؤكد أن الإنسان لا يقف خاملاً ولا بطالاً غير راغب أمام الهبة الإلهية في المسيح. مثل هذا الادعاء سيكون مساوياً لـ "الطبيعة الواحدة الخلاصية" التي من شأنها إبطال الأنثروبولوجيا المدبّرة من الله (theonomic) اليهودية-الكتابية والآبائية التي تركز على المسيح.

ومع ذلك ، فإن تفعيل الإرادة البشرية في سياق الحياة الجديدة في المسيح يفترض مسبقاً استعادة الطبيعة

1 πρβλ. π. Γ. Φλωρόφσκυ, Οἱ βυζαντινοί ἀσκητικοί καί πνευματικοί Πατέρες, Θεσσαλονίκη 1992, 118-158

٢ راجع " لأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لاَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئًا وَلاَ الْغُرْلَةُ، بَلِ الإِيمَانُ الْعَامِلُ بِالْمَحَبَّةِ" (غلاطية ٥:٦).

البشرية وتحريرها من العبودية للشيطان والخطيئة، ما لا يتم إلا من خلال قوة صليب المسيح المطهّرة، المنيرة والمعجزة في سر التبني الإلهي في المسيح. إن الأعمال الصالحة التي تفترض مسبقاً تآزر النعمة مع إرادتنا (التي، كما نقول، قد تحررت بقوة الصليب في المعمودية وتبقى حرة من خلال المشاركة في الأسرار)، ليست استحقاقاً. ومع ذلك، بدونها، يكون خلاصنا مستحيلاً ويمكن أن تكون النعمة "باطلة"، لوجود خطر السقوط. تتلخص الخبرة الفيلوكالية في العبارة الكلاسيكية للقديس مرقس الناسك، "وهذا هو السبب في أن الوصايا لا تقطع الخطيئة - هذا فقط من خلال الصليب - لكنها تحافظ على شروط الحرية الممنوحة لنا". ويتضح ذلك أيضاً من خلال العبارة المقتضبة للقديس بطرس الدمشقي: "هذه الوصايا تحمينا، وهذا بنعمة الله"[٣].

٢. النظرة الفيلوكالية نحو "التبرير الخارجي" (البروتستانتية) و "الاستحقاقات" لدى الكاثوليك

هذه هي الطريقة التي يمكننا من خلالها أن نفهم سبب النقص في مبدأ الإيمان وحده (*sola fide*) عند البروتستانت:

الإيمان كفكرة عامة أو حالة عاطفية أو قبول حقائق نظرية أو حتى قناعة وجودية لا يخلّص. أذكركم بأن الفكرة البروتستانتية المركزية، تبرير الخاطئ بالإيمان وحده (هذه "المقالة تقوم أو تسقط مع الكنيسة" حسب لوثر!) تتمثل في حقيقة أن الله "رضي" بموت ابنه، وبالتالي فإن الخاطئ من خلال إيمانه وحده يعترف خارجياً بالمسيح فقط (propter Christum or solus Christus) بالنعمة (sola gratia) فقط.

تنبيه: الله يعرف الخاطئ ولا يبرره. هذا يعني أن المؤمن لا يزال في الخطيئة، ولكن الله يحسبه الآن باراً (العبارة الشهيرة "simul justus et peccator"). هذا إجراء قضائي بحت، لذلك يُفهم التبرير على أنه إجراء قضائي (justitia forensis). العدل صفة من صفات المسيح وليست فعلاً أو صفة موجودة لدى المؤمن (justitia aliena)، لكنها بطريقة ما تؤدي إلى تجديد المؤمن. من هنا فصاعداً، تخلو الأعمال الصالحة من أي ميزة (على عكس التعاليم الكاثوليكية)، وليست سوى ثمرة وعلامة تبرير. إن إيمان التبرير عطية مطلقة من الله. ومع ذلك، من خلال النظر إلى المسيح، يجد المؤمن يقين الخلاص. هنا، في رأيي، يتم استبدال تعليم "الاستحقاق" بـ"يقين" الخلاص[٤].

الآن، بحسب للشهادة الفيلوكالية التي تثبّت الهوية الرسولية النبوية للجسم الكنسي، المسيح يخلّص إذ بحسب مشيئة الآب الصالح يمنح، في قلب الإنسان، من خلال الإيمان، الولادة من فوق "بالماء والروح" والنعمة الإلهية غير المخلوقة المبرِّرة المقدِّسة العجائبية. ما في الأمر هو إشراك المؤمن من خلال "الممارسة" و"الثاوريا" في سر الصليب وقيامة المسيح في مكان وزمان محددين، في حدود جماعة كنسية محلية، من خلال التسلسل الرسولي والتعليم والشركة الإفخارستية والشفاء. وتنتهي هذه الشركة بعلاقة وحدة سرية مع جميع الكنائس المحلية في كل أنحاء العالم.

3 Γ. Ι. Μαντζαρίδης, Χριστιανική Ἠθική, τόμος ΙΙ, Θεσσαλονίκη, 2009, 211 ἐπ.

4 Γιά λεπτομέρειες παραπέμπω ἀντί ἄλλων σέ μιά ἀπό τίς πιό πρόσφατες σχετικές μελέτες: H.M. Barth, Die Theologie Martin Luthers, Gütersloh 2017, 272-273

هذه الهبة الجذابة تُقبَل وتُضرَم وتؤسَّس وتُكمّل "بشكل غير كامل" بالتقيد الحر بوصايا المسيح كمساهمة في سر صليب ربنا وقيامته. يتحدث القديس غريغوريوس بالاماس، في تفسير مبدِع لبولس، عن الجوانب الثلاثة لسر الصليب، الذي عمل قبل الصلب التاريخي على الجلجلة، من خلال هروب الأنبياء من الخطيئة، ثم "من خلال إخراج الخطيئة من ذواتهم" وأخيراً "من خلال معاينة سر صليب المجد الإلهي في الله"، هذا السر الذي يوحّد الإنسان مع الله ويظهره على أنه"صديق"[٥].

ومع ذلك، فإن التبرير وحياة القداسة لا يُكتسبا بطريقة سحرية، ولا يسقطان من السماء تلقائياً. في المعمودية، "يعمل الصليب" (القديس يوحنا الذهبي الفم) بالتأكيد، لكن هذا لا يعني أن كل المعمَّدين ينالون حياة جديدة ويصبحون هياكل للروح القدس. لا يوجد أي تبرير أو خلاص من خلال التقيد الآلي (ex opere operato) بالأعمال الطقسية، ولا من خلال قرار من النوع القضائي من الله يضمن بالإيمان يقين الخلاص من النوع النفسي. يُفهم هذا، في كل مكان، على أنه ينطبق أيضاً على المشاركة في الإفخارستيا. الجهاد مطلوب لكي تثمر النعمة في المحبة الكاملة. يشرح باسيليوس العظيم، بدقةِ المعالج الخبير، أنه من المستحيل تحقيق كل من حفظ الوصايا والمحبة الكاملة لله والقريب "عندما يكون العقل في الوهم"[٦]. إن سر خلاصنا "عفوي وموجّه من الله" (القديس يوحنا السلمي). وهذا لأن التبرير، كما ذكرنا، هو قوة الصليب غير المخلوقة التي تمنح الحياة، والتي من ناحية تطهّر وتجدد صورة الله فينا مجاناً دون أي مساهمة منا، ولكن من ناحية أخرى "يقبل العمل معنا"، أي أنه يتوقع أن يعمل معنا على الطريق نحو شبه الله[٧].

في الواقع، أؤكد بشكل قاطع أن هذا الوضع أصبح معروفاً "وبمعنى ما هناك الكثير من المعلومات" المتاحة للمؤمن "والتي تكفلها الثيوريا" في حياة مواهب المعزي، خاصة في "عطية الصلاة"، أي في صلاة القلب التي تحرك الروح "الناشطة في أفكار القلب السامية" (غريغوريوس السينائي). يفسر القديس ثيوفيلكتوس أوخريدا المقاطع ذات الصلة لبولس بهذا المعنى: "يشهد" المعزي بالموهبة الروحية التي في المؤمن أنه بالنعمة أصبح "ابناً" لله ووارثاً مشاركاً للمسيح: " اَلرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلاَدُ اللهِ. فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَدًا فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضًا، وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ" (رومية٨:١٦-١٧) ومثله: "ثُمَّ بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا: «يَا أَبَا الآبُ»" (غلاطية ٤:٦).

في الفهم الأرثوذكسي يرتبط التبرير باستنارة القلب[٨] ويؤدي إلى التمجيد - التألّه (٢ كورنثوس ٣:١٨). يؤكد القديس سمعان اللاهوتي الحديث أن المعمَّدين الذين اجتازوا حقاً باب التوبة يشهدون بأن "الله نور" والذين "يقبلونه كنور يتلقّونه". ومع ذلك، فإن أولئك الذين لم يختبروا هذا الأمر فهم ما زالوا تحت عبودية قانون ما قبل النعمة، حتى لو كانوا بطاركة أو أساقفة أو كهنة أو علمانيين أو رهبان![٩]

على هذا الأساس، فإن الأعمال الصالحة التي يفترض أنها تستحق الملكوت لا يقبلها الله، بل يقبل الأعمال

5 Ἰ. Ρωμανίδης, Ρωμαῖοι ἤ Ρωμηοὶ Πατέρες τῆς Ἐκκλησίας, Θεσσαλονίκη 1984, 174-175

6 PG 31 ، 920

7 Διάδοχος Φωτικῆς, Τά ἑκατόν γνωστικά κεφάλαια, 89· Μητροπολίτου Ναυπάκτου Ἱεροθέου, Ὀρθόδοξη ψυχοθεραπεία, 150 ἐπ.

٨ راجع خدمة المعمودية في الإفخولوجي: "قد تبرَّرت، قد استنرت" إشارة إلى قول الرسول بولس.

9 Sources Chrétiennes 113, 137ff.

الحية التي من خلال تطبيق وصايا الإيمان الفعال، والتي تتزايد باستمرار في حياة جسد الرب. بهذه الطريقة، يستطيع آباء الفيلوكاليا الأرثوذكسيون تفسير عدد لا يحصى من المقاطع من العهدين القديم والجديد (كالمزمور ١٣:٦١؛ ١كورنثوس ٨:٣؛ ٢يوحنا ٨ ؛ متى ٤٢:١٠) والتي تشير إلى أن الرب سيحاكم الناس "حسب أعمالهم"، دون نسبة حقيقة خلاصنا إلى "الإيمان المبرر".

إن القديس مرقس الناسك واضح جداً في تأكيده أنه حتى البروتستانت الأكثر اقتناعاً سيشعرون بالغيرة منه، ولكن دون أن يتمكنوا من فهم عمقها "عندما يقول الكتاب المقدس'سيجازي كل إنسان حسب أعماله' (متى ٢٧:١٦)، لا تتخيلوا أن الأعمال بذاتها تستحق جهنم أو الملكوت. على العكس من ذلك، يكافئ المسيح كل إنسان بحسب ما إذا كانت أعماله تتم بالإيمان أو بدون إيمان به (بالمسيح)؛ فهو ليس تاجراً مرتبطًا بعَقْد، بل هو الله خالقنا وفادينا "[١٠]

لا توجد أعمال بشرية تستحق الملكوت ولا جهنم النار! يتحدث القديس مرقس عن "أعمال الإيمان" ويفهم بهذه الطريقة الإيمان والفضيلة في وحدة سرية بسبب النعمة. لذلك، يُرفَض الرأي القائل بأن الأعمال الصالحة يمكن فهمها بطريقة أرثوذكسية على أنها استحقاق، وفي الواقع المعنى الذي يعطيه اللاهوت الكاثوليكي لهذا المصطلح مرفوض. إن مراعاة الوصايا هي واجبنا وليست طلباً لاستحقاق: هذا يقيد حرية الإنسان دون أن يكون "طبيعياً".[١١]

وبالتالي، يجب فهم جميع مقاطع الكتاب المقدس التي استخدمها حتى اللاهوتيون الأرثوذكسيون الجدد كشهادات عن الطابع "الجدير بالتقدير" للأعمال الصالحة بناءً على المفتاح التفسيري للشهادة الفيلوكالية التي لخّصها القديس مرقس[١٢].

٣ – رد الفيلوكاليا الأرثوذكسية على "النعمة المخلوقة" عند الكاثوليك و"الإيمان فقط (sola fide)" عند البروتستانت

كما هو معروف، فإن اللاهوت الكاثوليكي يفهم التبرير على أنه نتيجة لضخ النعمة في الإنسان كحالة أو صفة خارقة للطبيعة (Habitus)، حيث أن عدالة الله الآب كانت قد "تحققت" بموت المخلص على الصليب (أنسيلم كانتربري). ترفع النعمة المخلوقة الإنسان إلى المستوى الذي يسمح له، كخليقة جديدة، أن يستجيب لمحبة نعمة الله من خلال أداء الأعمال الصالحة. وهكذا تُفهم نعمة التبرير (الهبة المجانية المتاحة gratia gratum faciens) على أنها إجراء مخلوق يضاف إلى المؤمن ويكون فيه (النعمة الموروثة gratia inharens) لجعل إرادته تتوجّه إلى الله بإيمان ومحبة ورجاء متشكلين بشكل مثالي (fides caritate et spe formata). إن

10 Φιλοκαλία Α΄, 110· πρβλ. ἅγιο Ἀνδρέα Κρήτης, Περί τελώνου καί Φαρισαίου, PG 97,1265

11 πρβλ. Α΄ Κορ. 8, 1· ἐπίσης ἅγιος Ἀνδρέας Κρήτης, Περί τελώνου καί Φαρισαίου, PG 97,1265

١٢ راجع Π. Ν. Τρεμπέλα, Δογματική, τόμος ΙΙ 305، ترامبلاس، حيث يتحدث عن "الجدارة النسبية" للأعمال الصالحة بطريقة تذكّر بالتعليم الكاثوليكي حول الاستحقاق. ومع ذلك، فإنه يلاحظ بحق أن 'الخلاص لا يتوقف عن أن يُعطى لنا فضلاً ومجاناً... "، وبهذا يضع المشكلة برمتها في سياق أرثوذكسي. أيضاً تُفهم الأعمال الصالحة على أنها استحقاقات في أكثر مصنفات العقائد انتشاراً في روسيا ما قبل الثورة "اللاهوت العقائدي" لمكاريوس بولجاكوف بالروسية، المجلد الثاني، ٢٩٠

الأعمال التي تُعمَل في هذه الحالة من التبرير تعتبر استحقاقات (merita) وبالتالي يكافئها الله بعد الموت بالحياة الأبدية التي تكمن، بحسب اللاهوت الكاثوليكي، في المعاينة المطوبة (visio beatifica) للجوهر الإلهي وللحياة الأبدية والإسقاطات الثالوثية.[١٣]

إن هذا النهج الديني الماورائي لا يتوافق مع الشهادة اليهودية الكتابية والآبائية. لا عجب أنه سرعان ما يتلقى ما يمكن أن نطلق عليه تشبيه "سهام أهل البيت". في الواقع، يتحدى اللاهوتيون السكولاستيكيون السابقون، كدونس سكوتس الشهير، هذا التعليم من خلال الإشارة إلى مضامينه اللاهوتية المحرّمة، خاصة في ما يتعلق بالحرية الإلهية: كيف يمكن لوجود لمخلوق (كالنعمة المبرِّرة أو الاستحقاقات) أن تجبر الله على مكافأة الإنسان بالحياة الأبدية؟ في النهاية، ما من شيء مخلوق قادر على استحضار استجابة الله الخلاصية بدافع الضرورة ("Nihil creatum formaliter est a Deo Acceptandum").

هنا بدأ العد التنازلي لثورة لوثر. ما من شيء يمكن أن يرمز إلى هذه الثورة أكثر من رفض الاستحقاقات والترويج المهووس في نهاية المطاف للثلاثية 'الوحدانية': المسيح وحده، النعمة وحدها، الإيمان وحده' sola fide، sola gratia، solus Christus'. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن كلا التقليدان الغربيان (الكثلكة والبروتستانتية) يعملان على أساس مشترك: الهدف ليس التغيير العلاجي للإنسان، بل تغيير موقف الله تجاه الإنسان. يقبل الله "الاسترضاء" الذي قدمه المسيح لعدالته المهانة بسبب خطيئة الإنسان، بموته على الصليب، وبالتالي يخلق في النفس الوجود المخلوق للنعمة المبررة ليجعل الإنسان مستوفياً لمزايا الحياة الأبدية (الفاتيكان)، أو يقدم للمؤمن يقين الخلاص بنعمته وحدها والإيمان وحده (البروتستانت). في كلا التقليدين، يشير صليب المسيح في المقام الأول إلى علاقته بالآب، وليس إلى إبادة الموت و " ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ" (عبرانيين٢:١٤)؛ وفي كلا التقليدين، لا ينبع الخلاص مباشرة من سر الصليب والقيامة، بل يتم بواسطة آلية مؤسساتية أو بقرار قضائي على المستوى الفردي!

على الرغم من التقديم الشديد الإيجاز والتبسيط لعلم الفداء الكاثوليكي والبروتستانتي، يتضح أن العقيدة الأرثوذكسية عن النعمة والأعمال والتبرير بعيدة كل البعد عن مطابقة أو مشابهة أي منهما. لقد كان يرد هذا التعليم الخاطئ سابقاً في الكتيبات العقائدية الأرثوذكسية. على سبيل المثال، اعتبر خريستوس أندروتسوس[١٤] الشهير أن تعاليم الكاثوليك حول "الاستحقاقات" و "النعمة المغروسة" والفضائل متطابقة مع الأرثوذكسية.

ولكن حتى في أيامنا هذه، يعلّم أستاذ العقائد الروسي أوليغ دافيدينكوف[١٥]، متأثراً بشكل واضح بالتمييز السكولاستيكي لمفهوم النعمة، أن الإنسان لا يمكنه استخدام النعمة المعطاة له "بتجرد" في المعمودية، بل هو يحتاج أيضاً إلى مساعدة إلهية "خارجية" (كذا). إنه يتغاضى هنا عن أن في المعمودية، وأيضاً في حياة المؤمن بالمعمودية، يتكشف المسيح نفسه من خلال سر العنصرة، ويعمل بقوة الصليب غير المخلوقة، من جهة لتدمير الخطيئة وما إلى ذلك، ومن جهة أخرى لنمو المؤمن إلى أن يمتلئ " إِلَى كُلِّ مِلْءِ اللهِ". في الواقع، إن "استنارة" المعمودية في الميرون المقدس ترتبط في التقليد الليتورجي الأرثوذكسي بالمعمودية وتجعل

١٣ انظر في هذا الصدد أكثر العقائد الكاثوليكية الحديثة تمثيلاً: G. L. Müller، Katholische Dogmatik، passim

14 Χρ. Ἀνδροῦτσος و Δογματική τῆς Ὀρθοδόξου Ἀνατολικῆς Ἐκκλησίας, 251

15 Δογματική θεολογία, Μόσχα 2016, ρωσιστί, 466

المؤمن "فاعلاً" من جهة القوى الروحية (نيكولاس كاباسيلاس). من بعدها، لا تبقى المساعدة الإلهية مطلوبة من "الخارج" بل من الداخل، وبالطبع تتجدد باستمرار في مَن عندهم "تدابير طيبة طوعية" (مكسيموس المعترف). وهذا لأن مَن يعبر بالنسك والاستشهاد "درجات المسيح" (سمعان اللاهوتي الحديث)، يعيش حياة المسيح في الأسرار وفي حياته! في كل الأحوال، فإن مراجعة القديس ذياذوخوس أو القديس مرقس - من بين آخرين كثيرين - كان ليقنع دافيدنكوف بسطحية وجهة نظره.

لذلك، ليس هناك ما هو أكثر تضليلاً من مثل هذه الآراء. حتى في تلك النقاط التي تُستخدم فيها المصطلحات نفسها في السياقات الأرثوذكسية كالكاثوليك، فإن الظروف اللاهوتية والمضامين الرعائية تكون متعارضة تماماً. وهذا للأسباب التالية التي طرحها ويؤكدها أدب الفيلوكاليا:

أ) إن نعمة الله، وبالطبع قوة التبرير في المسيح، هي قوة أساسية غير مخلوقة للإله الثالوثي تتم مشاركتها في الكنيسة كتذوق مسبَق لآخرة عدم فساد الروح (القديس غريغوريوس بالاماس يشدد بشكل خاص على هذه النقطة)[١٦].

ب) إن الخلاص والحياة الأبدية لا تكمنان في رؤية الجوهر الإلهي في الآخرة (مثل هذه العقيدة يعتبرها الآباء تجديفاً)، بل في شركة التقديس والخلق الإلهي أو على الأقل في القوة المنيرة التي لله الثالوثي، كما في المشاركة مسبقاً وفعلياً في المجد غير المخلوق وملكوته من الداخل في حياة المحبة غير الأنانية التي تطأ عتبة الموت سالمة[١٧].

ج) تبدأ هذه الحالة المواهبية من بداية الإبحار التاريخي للكنيسة وستكتمل أو بالأحرى ستصير كاملة إلى ما لا نهاية في القيامة العامة مع "ترميم" أجسادنا، ومن هنا أيضاً ستُعلن الحياة الحقيقية والتبني الإلهي مع المسيح وفي المسيح لمجد الله الآب.

د) لهذه الأسباب، يُفهم التبرير على أنه إحياء من خلال الشركة مع نعمة سر الصليب غير المخلوقة في إنسانية رب الكنيسة في مكان وزمان محددين (الأهمية التي لا يمكن تعويضها لـ "اجتماع" الكنيسة المحلي "في نفس المكان") إن نهايتها هو المحبة غير الأنانية، التي هي الوجه الآخر للتمجيد!

هـ) أخيراً، في ضوء هذا، أعمال المؤمنين المولودين جديداً في المسيح ليست ولا يمكن أن تكون جديرة بالمكافأة (استحقاقات)، لأن ما من شيء يقوم به الإنسان بشكل طبيعي يمكن أن "يجبر" الله على الرد بالمثل؛ بالأحرى، هي شفاء (علاجي)، مما يعني أنها تطهّرنا من الأهواء وتحمي حريتنا المعطاة في المسيح بالنعمة.[١٨]

وفقًا لهذا، حتى عندما يعلم الآباء أن الله كرم الإنسان بإرادته الحرة، "لكي يكون الله له نتيجة اختياره، لا دون ذاك الذي زرع بذوره"[١٩] فإنهم يشددون على أن حرية الإرادة البشرية معطاة من الله وأن مشاركته في عملية

16 πρβλ. Β. Τσίγκος, Προλεγόμενα στή θεολογική γνωσιολογία τοῦ ἁγίου Γρηγορίου τοῦ Παλαμᾶ, Θεσσαλονίκη 2010, passim

١٧ راجع رومية ٨:٣٥.

18 Μάρκος Ἀσκητής· Ἰωάννης Χρυσόστομος, PG 57, 233 καί PG 60, 515· Νικόλαος Καβάσιλας, Περί τῆς ἐν Χριστῷ ζωῆς, Sources Chretiennes I, 90

19 Γρηγόριος Θεολόγος, Ὁμιλία 38, 12

التقديس ضرورية؛ ومع ذلك، فهذا لا يعني أن الأعمال الصالحة تستحق المكافأة (استحقاقات) بمعنى "المكافأة" التي يفترض أنها ملزِمة لله. إلى ذلك، فإن مثل هذا الشيء يتعارض مع ما يؤكده المسيح نفسه بشكل واضح: " كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا، مَتَى فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَقُولُوا: إِنَّنَا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ، لأَنَّنَا إِنَّمَا عَمِلْنَا مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْنَا"(لو ١٠:١٧)[٢٠].

٤. البعد السلبي والإيجابي للجهاد النسكي

نتابع الآن مع الموقف الأرثوذكسي كما يتم التعبير عنه من خلال التجربة الفيلوكالية. إن الأعمال الصالحة أو، للتعبير عن أنفسنا في المصطلح اللغوي، "الأفعال" (praxis) باعتبارها "عمل الوصايا" ليست استحقاقات؛ ومع ذلك، فهي بالتأكيد ليست عديمة الفائدة أو غير مربحة. ومع ذلك، فإن "العمل" أو الأعمال الصالحة تُفهم بشكل إلهي ومتمحور حول المسيح في سياق مواهبي على أنها تجليات "للإيمان بالنعمة" (غريغوريوس السينائي). في الواقع، يبدو أن القديس مرقس يعترف بوظيفة سلبية لها في المقام الأول، بمعنى أن كل فضيلة (حتى موت الشهداء!) تُفهم على أنها "سجن للنقاء الممنوح لنا (بالمعمودية)" وبالتالي ك"امتناع عن الخطيئة" طوعي، وبالتأكيد ليس كـ "مقايضة للملكوت".

طرح القديس يوحنا الدمشقي نسخة مماثلة مع الادعاء بأن "النسك وآلامه لم يصمما كوسيلة لبلوغ فضائلنا الغريبة عن طبيعتنا، بل لتمكيننا من التخلص من الشر الذي كان غريباً ومتعارضاً مع طبيعتنا"[٢١].

هذه نظرة لاهوتية قوية: الله ليس تاجراً أو مقرضاً للمال، بل هو ربنا القدير والمخلّص بابنه في الروح القدس. إن تدبير الله الخلاصي لفداء العالم من عدوه، الشيطان والخطيئة، لا يخضع لقواعد المنطق والأخلاق البشرية الطبيعية. تتلخص هذه الحقيقة أيضاً في تعليم الرسول بولس حول تبريرنا "لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ." (أفسس ٢:٨-٩).

في حياة النعمة التي يمنحها الرب للمعمَّدين بالإيمان من خلال الصليب وقيامته والتي أسسها في العشاء الإفخارستي، فإن المؤمن مدعو لأن يثبت بتفعيل حريته المستعادة. فالمؤمن مات في المعمودية بحسب الإنسان القديم، وهو يتزايد بالنعمة في حياة الأسرار. إن الجهاد للبقاء في حرية النعمة وتحقيق ثمار التقديس لا يمكن إلا أن يكون استمراراً سرياً للمعمودية، ثمرة نعمة المعمودية التي تتطلب "عمل الوصايا".

هذا الجهاد، حتى لو وصفه القديس مرقس بطريقة سلبية، إلا أنه يتضمن شيئاً إيجابياً وديناميكياً للغاية، لأنه، مثل الإيمان، هو ثمرة النعمة والقوة الإلهية ("لاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ"(رومية ١٢:٢). ومع ذلك، فإن هذا لا يعني أن النسك والفضائل تكتسب صفة استحقاقية، فهي "عمل طبيعي وليست تبادل للملكوت" وبالتالي "لا يمكن تقديس

٢٠ راجع أيضًا المزمور (١٦:٢): "قلت للرب: أنت سيدي . خيري لا شيء غيرك" وحزقيال. ٣٦:٢٢: " لَيْسَ لأَجْلِكُمْ أَنَا صَانِعٌ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ، بَلْ لأَجْلِ اسْمِي الْقُدُّوسِ؛ وأشعياء٦٤:٦

21 Ἔκδοσις ἀκριβής τῆς ὀρθοδόξου πίστεως 58• πρβλ. ὅσιος Νικήτας Στηθάτος, Φιλοκαλία Γ΄, 289-290• ἅγιος Γρηγόριος Νύσσης, Gregorii Nysseni Opera, IV 198.

المرء بمعزل عن النعمة"[٢٢].

يكتسب هذا التعليم طابعاً كتابياً وبولسياً لا لبس فيه: "فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا دُعِيتُمْ لِلْحُرِّيَّةِ أَيُّهَا الإِخْوَةُ. غَيْرَ أَنَّهُ لاَ تُصَيِّرُوا الْحُرِّيَّةَ فُرْصَةً لِلْجَسَدِ، بَلْ بِالْمَحَبَّةِ اخْدِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا." (غلاطية ٥:١٣).

يقع هذا المفهوم في صميم الفداء والأنثروبولوجيا الأرثوذكسيين: إن حرية الإنسان، التي تؤازر النعمة، ليست إمكانية الاختيار الساقطة (الواقعة في فخ ناموس الخطيئة والموت)، ولكنها الحرية المستعادة التي تؤدي بطبيعة الحال إلى الخير.[٢٣]

المفتاح هنا يعطيه المجمعان المسكونيان الرابع والسادس: طبيعتنا جنباً إلى جنب مع إرادتنا الطبيعية المستقلة لا تُشفى من خلال "صفة" خارقة للطبيعة، لا يعرفها حقاً إلا الله، تُحقَن في وجودنا لتحقيق ثواب جدير بالتقدير. في المسيح، تألّهت طبيعتنا الذاتية "من نهاية الحمل" أقنومياً. فينا تشفى وتتألّه بعطية غير مخلوقة (سرّ الصليب). في المسيح، تواصل صفات طبيعتيه يتمّ "بالأقنوم"؛ في اتحادنا مع الله، التواصل في حد ذاته هو "تبادل علاقاتي".[٢٤]

بالنسبة لناموس موسى بشكل خاص، لا يدعي بولس في أي مكان أنه سيء أو ضار أو عديم الفائدة. على العكس من ذلك ، فهو يعلم صراحة أن الناموس صالح وروحي (رومية ١٤:٧: " النَّامُوسَ رُوحِيٌّ")، على الرغم من أنه لا يمكن أن يبرر، أي يحرّر الإنسان ويحييه " تَحْتَ الْخَطِيَّةِ" (رومية ١٤:٧). في الواقع، من الواضح أن بولس يساوي "البر" بالإحياء، إذ أكد لأهل غلاطية أنه إذا كان للناموس القدرة على الحياة، فإن البر سيكون حقاً من الناموس (غلاطية ٢١:٣)[٢٥]. هذا أصبح ممكناً فقط من خلال كامل حياة الرب يسوع في الجسد، ولكن بشكل رئيسي من خلال الصليب والقيامة، إذ قد "افتدانا" من لعنة الناموس، ليس بالتخلي عن الناموس أو عدم المبالاة به، بل من خلال " إتمام كل برّ" (متى ١٥:٣).

وهكذا يستطيع بولس أن يدّعي أن " نَامُوسَ رُوحِ الْحَيَاةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَدْ أَعْتَقَنِي مِنْ نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ وَالْمَوْتِ. لأَنَّهُ مَا كَانَ النَّامُوسُ عَاجِزًا عَنْهُ، فِي مَا كَانَ ضَعِيفًا بِالْجَسَدِ، فَاللهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ، وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ، دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ، لِكَيْ يَتِمَّ حُكْمُ النَّامُوسِ فِينَا، نَحْنُ السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ."(رومية ٢:٨-٤).

هذا يعني أنه بموت الرب على الصليب، يتم إيفاء مطلب الناموس العادل ("حق الناموس") عن الذين، من خلال سر العنصرة، في كل مكان وزمان، يبلغون الاشتراك في قوة الله المطهّرة المحيية في المسيح. من وجهة النظر هذه، ألغيت الشريعة من جهة اللعنة التي عاشها الناس بقدر ما لم يتمكنوا من تنفيذ وصاياها بالكامل (راجع تثنية ٢٨:٢٧). ومع ذلك، بحسب طبيعته الروحية، تم أوفي الناموس في المسيح وتحقق من خلال سر العنصرة في كنيسة الكلمة المتجسد عند الذين "بالروح يميتون أعمال الجسد" (رومية ١٣:٨).

الناموس، بحسب الرب نفسه، مكثف في المحبة الكاملة لله والقريب (متى ٩:٢٢-٤١، راجع تثنية ٥:٦؛ لاويين

22 Φιλοκαλία Α΄, 110.
23 Γ. Δ. Παναγόπουλος, Ὀρθόδοξο δόγμα καί θεολογικός ἐκσυγχρονισμός, Ἀθήνα 2017
24 Μάξιμος Ὁμολογητής, Ἐπιστολή Β΄, Πρός Ἰωάννην Κουβικουλάριον
25 Ἰ. Σ. Ρωμανίδη, Τό προπατορικόν ἁμάρτημα, Ἀθήνα 1989

١٩:١٨). في جسد المسيح، في إسرائيل النعمة الجديدة ، تتحقق هذه الأمور بطريقة جديدة وحقيقية تماماً، أي في حياة الروح الذي يمنحنا الإحياء النابع من صليب الرب ويعمل على ازديادنا في ملء المحبة غير الأناني. دي يونغ (دين الرسل بإيجاز) يصف ملهَماً الروح الذي يتمم العهد القديم في حياة الكنيسة الأرثوذكسية المواهبية! التبرير بالإيمان وبالنعمة، أي الإحياء، يدعو بولس "ناموس حياة الروح".

هذه الحقيقة عبّر عنها البطريرك إرميا الثاني ترانوس على أنها إيمان الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة، في جوابه الثاني على اللاهوتيين اللوثريين في توبنغن عام ١٥٧٩: "نحن لا نقول فقط إن الذين يلتزمون بالناموس يجب تبريرهم، بل أولئك الذين يطيعون الناموس، الذي يُفهم روحياً وبحسب الإنسان الداخلي. حقاً، بالالتزام بناموس الروح على قدر ما نستطيع، نكون مبررين ولا نسقط من النعمة لأن كلمة المطهّرة تكون قد انتقلت إلى اعماق الروح".

هذا تفسير فيلوكالي لقول الرسول بولس الذي اقتبسناه أعلاه. إن التبرير لا يسقط بطريقة سحرية من السماء. إنه انتقال الذين طهّروا أو تطهّروا حسب القلب (الإنسان الداخلي!) بالإيمان، إلى نعمة الكلمة بالروح القدس الذي "يسكن فينا". لذلك، لا يمكن أن يكون الإيمان "خاملاً"، ولا الأعمال "بدون إيمان". وهنا يربط البطريرك، مستخدمًا صيغة آبائية كلاسيكية، بولس بأخيه يعقوب (راجع يعقوب ١٤:٢).

٥. الهدوئية وحياة العهد الجديد

هذا يقودنا بطبيعة الحال إلى الأفكار التالية. أعلن أنبياء إسرائيل القديمة إتمام الناموس القديم في حياة النعمة الجديدة بالروح القدس في كنيسة الكلمة المتجسد. تحدث إرميا وحزقيال عن الزمن الأخروي، حيث لن تُكتب الإرادة الإلهية بعد الآن على ألواح حجرية بل بالروح في قلوب أجساد البشر المتجددين كأعضاء شعب الله، شعب العهد الجديد (إرميا ٣١:٣٨-٣٥؛ حزقيال ٣٦:٢٤-٣٧ و ٣١:١٨).

هذه هي بالضبط الحقيقة التي يؤكدها آباء الفيلوكاليا من خبرتهم. يحدد سمعان اللاهوتي الحديث الفرق بين العهد الجديد والعهد القديم في أن النعمة في كنيسة العهد الجديد لا "تخاطب" المؤمنين، لذا فهم لا يتعلمون ما هو صالح بالحروف والنقوش، بل في قلوبهم من الروح القدس هم "يتأسسون سرياً في الإلهيات بنور الكلمة وكلمة النور". وهنا يمكننا أن نتحدث عن تفسير فيلوكالي للشهادة البولسية في ٢ كورنثوس ٣:١٨: "وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ".

يفكك غريغوريوس السينائي[٢٦] "الحبل ذا الخيوط الثلاثة" للحالة النوسية، ويجيب بالمثل: "... وهكذا فإن النوس، عندما يتطهر ويعود إلى حالته السابقة، يرى الله ويتقبّل معانٍ إلهية منه. وبدلاً من كتاب، له الروح، وبدلاً من القصبة، له العقل واللسان... إذ يغمر العقل في النار ويجعله نوراً، يكتب الكلمات بالروح في قلوب المستمعين الطاهرة".

إسحاق السرياني (النسكيات)، إذ كان يعيش في سر العنصرة ويعرف بما هو أبعد من المعرفة، ويفهم الأقوال

26 Φιλοκαλία Δ′, 34

والوصايا الإلهية غير المخلوقة، يستطيع أن يؤكد إتمام نبوءة العهد القديم في حياة إسرائيل الحقيقية في العهد الجديد في المسيح: "بقدر ما يقبل الإنسان المعزي، يكون مرتبطاً بالكتاب المقدس... عندما تنزل قوة الروح على القوة النفسية تتنشط فيه، ثم بدلاً من ناموس الكتاب المقدس، تتجذّر وصايا الروح في القلب. وبعد ذلك يتعلم سراً من الروح، ولا يعتمد على مساعدة المادة المحسوسة".

لاحقاً قال القديس صفروني إسكس الشيء نفسه مجدداً بصيغة أكثر بساطة: "بمجيء نور المسيح إلينا، تلغي وصاياه القليلة المنقوشة على القلب والعقل جميع القوانين الأخرى، بما في ذلك الشريعة الموسوية..."

لذلك، الجهاد النسكي، بالإضافة إلى البعد السلبي، له بعد إيجابي للغاية. يؤكد القديس مكسيموس المعترف على هذا الجانب الإيجابي، دون الانحراف عن تعليم مرقس الموقّر. "عيون الإيمان" هي احترام الوصايا الإلهية، أي الفرائض الإلهية التي تُفهم على أنها نور إلهي (راجع "أوامرك نور على الأرض"): "عندما يتجاهل الإنسان الوصايا، يعمي عيني الإيمان الذي بداخله، يكون بالتأكيد محكوماً عليه بالفناء، لأنه لم يعد محروساً من الله. لأنه إذا كان الكتاب المقدس يسمّي قوى الروح 'عيني الرب' (تثنية ١٢:١١)، فإن الإنسان الذي لا يفتح تلك العيون من خلال إتمام الوصايا لا يترك الله يراقبه. فالله يراقبنا فقط عندما نتمم الوصايا من خلال قوى الروح، إذ لا عيون أخرى له ينظر بها إلى الساكنين على الأرض "[٢٧].

لفهم معنى كلمات القديس مكسيموس هذه، علينا أن نتذكر أن "وصايا الله" تُفهم على أنها إرادة إلهية أو قوى إلهية غير مخلوقة، وهي تُعطى لضعفنا بصيغة لغوية يسهل الوصول إليها. وعلى نفس المنوال، فإن إتمام الوصايا الإلهية، للسبب المذكور أعلاه، لا يمكن فهمه بطريقة أرثوذكسية إلا على أنه شركة سرية مع الله.

من بين كثيرين، أخصّص وأذكر الموقف المميّز للقديس مكسيموس، والذي بموجبه الله نفسه يكون مخفياً في كل وصية، لذلك بإتمامها نتشارك مع الله: "كلمة الله الآب موجودة سرياً في كل من الوصايا الموضوعة... مَن يقبل الوصية الإلهية ويفعلها، يقبل كلمة الله في قلبه".

نفس المفهوم صاغه القديس إسحق السرياني في قوله التالي: "وصايا الله أعظم من كل كنوز العالم. ومن يسكن بينها يجد الله".

أخيرًا ، أستحضر مرة أخرى شهادة القديس صفروني إسكس، الذي كتب في عمله "في الصلاة" (ص. ١٥٨): "ينعكس نور الألوهية المبهر على مستوانا بشكل وصايا: 'أحبوا أعداءكم، ... كونوا كاملين كما أن أباكم كامل'(متى ٤٤:٥)".

وبصياغة أخرى: "في الوصايا تُكشَف حياة الله نفسه". تقدّم الوصايا إلينا بشكل جمل واردة في نصوص إيماننا المقدسة التي تحكي عن ضعفنا. ومع ذلك، فهي مظهر من مظاهر إرادة الله غير المخلوقة. بالنسبة للقديسين، تُنقَل الإرادة الإلهية بدون أشكال ومعانٍ لفظية في حالة المعاينة المواهبية في الله.[٢٨]

يوصي الله "بشريعة" الخلاص بالروح. وهذا يعني: أ) أن الوصايا هي إعلان تعليمي للكائن الإلهي، كما أنها

27 Φιλοκαλία Β. 135• πρβλ. Β΄ Πέτρου 1, 9

٢٨ راجع زخريا ٦:١: "وَلكِنْ كَلاَمِي وَفَرَائِضِي الَّتِي أَوْصَيْتُ بِهَا عَبِيدِي الأَنْبِيَاءَ"... يوحنا ٦٣:٦: "اَلْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ". جامعة ١٣:١٢: "اتَّقِ اللهَ وَاحْفَظْ وَصَايَاهُ، لأَنَّ هذَا هُوَ الإِنْسَانُ كُلُّهُ".

ظهور للإنسان الكامل[٢٩]؛ ب) أن قبول الوصايا الإلهية والتقيد بها هو حدث مواهبي يستنفد حريتنا؛ ج) إن تكوين الفضائل من خلال الوصايا هو "مكان" سري للشركة مع الله.

بهذا المعنى، الإيمان هو عطية إلهية (وليس عملاً جديراً بالتقدير). وبالمثل، الأعمال الصالحة كتعبير عن الإيمان لها طابع مواهبي، ولكن دون إلغاء الإرادة البشرية الحرة. ينير مكسيموس بدوره هذا الفهم الشرعي لوحدة السريةبين الإيمان والأعمال على النحو التالي: "طوبى لمن يعلم بالحق أننا ما نحن إلا أدوات في يد الله؛ وأن الله هو الذي يؤثر فينا كل الممارسةَ النسكية والالمعاينة، الفضيلة والمعرفة الروحية، الغَلَبة والحكمة، الصلاح والحق، وأننا في كل هذا لا نساهم إلا باستعداد يرغب في ما هو صالح".[٣٠]

نفس الحقيقة يعبّر عنها نفس القديس بعبارات مختلفة، ولكن متطابقة (يحب القديس مكسيموس تغيير المصطلحات)، عندما يتحدث عن وحدة الثايوريا (الإيمان) والممارسة (النسك) على أنها سر الخلاص. تُختَبَر "الثاوريا" على أنها "عمل صوفي" (وعليه يكون للنسك طابع أسراري!)، و"العمل" هو "ثايوريا ناشطة" (الإيمان المبرِّر ليس ميتاً، بل حي، مبرِّر ومخلص).

٦. استنتاجات بشكل خاتمة

مسترشداً بالمناقشة الفيلوكالية، حاولت أن أوجز العلاقة بين الإيمان والأعمال (أو الثاوريا والتطبيق) من وجهة نظر خلاصية (التبرير كاستنارة والتمجيد كتأله). من التحليل السابق ، أعتقد أنه صار من الواضح:

أ) لا علاقة للتقوى الفيلوكالية بأي صيغة من "أخلاقيات الأعمال الجديرة بالتقدير" ولا هي "صلاة" بحسب المفهوم الذي يشوّه الصلاة إلى عمل بشري مستقل ويخون الجهل بهويته المواهبية: "النعمة ليست فقط الإيمان، ولكن الصلاة النشطة"[٣١]. يُفهم "التبرير" على أنه استنارة القلب، القيامة الأولى "لأشياء قلب الإنسان المخفية"، وهو (التبرير) يتحقق بنعمة الله في "شخص يسوع المسيح" من خلال "الإيمان المبرِّر" ضمن جسد الكنيسة. لا تستثني النعمة الإرادة البشرية الحرة بل تشفيها وتنشطها للحفاظ على الكنز في قياس عمل "الوصايا" الإلهية، التي تُفهم على أنها وسيلة للتواصل السري مع الله، وامتداد وتجسيد لنعمة المعمودية. وبالتالي، لا يمكن اعتبار الأعمال الصالحة "استحقاقات"، ولا يمكن أن توفر "ثقة" نفسية بالخلاص، ما من شأنه أن يقوّض ما هو ضروري للجميع أي الرجاء المسيحي الحي برحمة الله و"التوبة" مدى الحياة.

ب) الحياة النسكية هي قلب العبادة الحقيقية لله "بالروح والحق" في كنيسة العهد الجديد، وتعبير عن الروح النبوية والرسولية. لهذا السبب حان الوقت لإدراك أهمية الهدوئية باعتبارها "البيئة" بامتياز في العقيدة الأرثوذكسية.

ج) بقدر ما هو "الوعي الفيلوكالي" ضائع أو حتى متراجع في الكنيسة الأرثوذكسية، على هذا القدر يتمّ تجاهل العلاقة العضوية بين "الثاوريا والعمل"، مع ما ينتج من "برهنة هدوئية" للعقيدة و أهميتها لمعالجة الوجود الإنساني من الأنانية، فإن خطر استبعاد "المؤسساتية" يكون أكثر من منظور. من ثم يُستبدل الشفاء

29 Γ. Μαντζαρίδης
30 Φιλοκαλία Β΄133
31 ἅγιος Γρηγόριος Σιναΐτης, Φιλοκαλία Δ΄, 54

في حياة المسيح بمجموعة من "الواجبات" الدينية التي لا يستجيب لها سوى المنافقين والتي ينبثق منها بشكل رئيسي "الفريسيون المسيحيون" ...

* د. جورج د. باناغوبولوس أستاذ العقائد في أكاديمية فاللا الكنسية الجامعية في يوانينا، اليونان

Source: Γεωργίου Δ. Παναγοπούλου: Πίστη καί ἔργα. Εκκλησιαστικης Παρεμβασης.
Μέρος Α: Τεῦχος 317 - Δεκέμβριος 2022. https://www.parembasis.gr/index.php/el/menu-teyxos-317/7598-2022-317-14 , Μέρος Β: Τεῦχος 318 - Ἰανουάριος 2023. https://www.parembasis.gr/index.php/el/menu-teyxos-318/7627-2023-318-12

المسيح والمجتمع الإنسانوي†

الأرشمندريت جورج كابسانيس*

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

بقدر ما يتطهّر الإنسان من أهوائه يكتسب إمكانية الشركة الحقيقية مع الله والبشر الآخرين.

إن الذين ينظرون إلى الإنسان رومانسياً (عواطفياً) وخارجياً ينقلون الشرّ من الأفراد إلى المجتمع، ولهذا السبب يبشّرون بأن تحسين المجتمع يؤدي أيضاً إلى تحسين الأفراد. لكن الأرثوذكسيين، دون إنكار أهمية التأثير الاجتماعي على الأشخاص، يعطون الأولوية لتحول الشخص بالتوبة والنعمة الإلهية.

إنه لوهم كبير أن نرغب في تغيير المجتمع دون أن نجاهد لتغيير أنفسنا. إن الاعتقاد بأن تغيير بعض المؤسسات الاجتماعية سيُحدث تغييراً في الناس دون توبة، هو اعتقاد ساذج على أقَلّ تَقْدِير.

المرضى يصنعون مجتمعات مريضة والمجتمعات المريضة تجعل الناس أكثر مرضاً. إن علاج الأمراض الاجتماعية دون علاج الأمراض الشخصية هو انزياح في المشكلة، ورفضٌ لقبول مسؤوليتنا الشخصية، وتهرُّب من التوبة، وتأكيدٌ على أنانيتنا وعدم رغبتنا في رؤية أنفسنا الحقيقية. يجدر بنا أن نأخذ في الاعتبار أن الرب جعل التوبة الشخصية شرطًا للمشاركة في ملكوته.

ولا ينبغي التغاضي عن عمل الشيطان في انحلال الأشخاص والمجتمعات وفي انتشار الشر. إن التبسيط الإنسانويّ للمشاكل الاجتماعية ينكر وجود الشيطان. على العكس من ذلك، في الأناجيل كما في الخبرة المسيحية، يُكشَف مقدار الطاقات الشيطانية في الأشخاص والمواقف الاجتماعية، كما الحاجة إلى محاربة الشيطان لدرء الأرواح الشريرة وطردها. إن مهمة الرهبان المكرّسين والعلمانيين المواهبيين هي تمييز الأرواح، حتى لا يقع المسيحي في الفخ الذي نصبه الشرير عندما يظهر تحت ستار الخير.

لقد شددنا على قوة القوى المناهضة للإفخارستيا والمناهضة للمجتمع بهدف إظهار عدم استحالة التغلب عليها، بل ضرورة أن يأخذها المسيحي المجاهد في الاعتبار. لقد هزم المسيح هذه القوى، وبالتالي يمكن للمسيحي، بقوة المسيح ومؤازرة النعمة الإلهية، أن يشارك في انتصار المسيح هذا.

عند هذه النقطة، يختلف الجهاد الاجتماعي المسيحي اختلافاً جذرياً عن أي جهاد آخر. المجتمع الذي تريد النظم الإنسانوية (المثالية والمادية) خلقَه يتمحور حول الإنسان. محور المجتمع المسيحي هو الإله-الإنسان. لكن وسائل الإنسانويين هي أيضاً إنسانوية. أما لدى المسيحي فهي إلهية-إنسانية. التواضع هو أساس المجتمع المسيحي، بينما أساس المجتمع الإنسانوي هو الكبرياء والاكتفاء الذاتي واستبعاد الله. إن الأمر هو كتكرار خطيئة آدم نفسها: السعي إلى التألّه بدون الله.

ربما ليس من المصادفة أن كلا النظامين الإنسانيين (الرأسمالية والشيوعية) في تطبيقاتهما في الاقتصاد وُلدا في الغرب الهرطوقي، الذي أتى بعد المركزية البشرية الدينية المتمثلة بعصمة البابا والفيليوكفه (انبثاق الروح

القدس من الآب والابن:المترجم). فليفكر الأرثوذكسيون أو الأرثوذكس السابقون في هذا الأمر، إذ ينكرون تقليدنا الأرثوذكسي بشكل صارخ، عادةً عن جهل سعياً إلى التمسك بالنظم الغربية.

يتمتع المجتمع الإنسانوي غير المسيحي بطابع وحيد يسلب من هذا المجتمع إمكانية منح السلام لروح الإنسان، لأنه يترك الإنسان غير قابل للمصالحة مع أبيه السماوي، وبالتالي بلا مأوى. لنتذكر كلمات القديس أوغسطينوس التي تعبّر عن الخبرة الأنثروبولوجية: "لقد خلقتنا لنفسك يا رب وقلوبنا لن ترتاح حتى تستريح فيك".

إن الأنظمة الاجتماعية الإلحادية تساعد على حل بعض المشكلات الاجتماعية والاقتصادية، ولكن ليس على تلاقي الله والإنسان بشكل حقيقي وأساسي. إنها لا تجيب بشكل مُرضٍ على أسئلتنا الوجودية وخاصة مشكلة الموت المركزية. إن العالم تتم تسويته بشكل جيد ليموت. على الرغم من أن هذه الأنظمة، وخاصة الماركسية، تتميز بمسيحانية[١] دنيوية شديدة، فإننا في الواقع لا "ننتقل من الموت إلى الحياة"، وبالتالي فهي تخلق أناساً بائسين لا رجاء لهم. في الواقع، في بعض الأحيان يكون النشاط الإنساني المكثف، حتّى التجاري منه، نتيجة جهد لتناسي مشكلتنا الأساسية، مشكلة الموت، وتحرير أنفسنا من القلق والفراغ والملل الذي يميز الحياة المنفصلة عن مصدرها، أي الله الثالوث.

[١] المسيحانية هي الإيمان بمجيء مسيح، أو حركة تقوم على هذا الإيمان، كالإيمان بقائد أو سبب أو أيديولوجية تكون مخلصاً أو منقذاً (https://www.dictionary.com/browse/messianism).

† الإنسانوي (Humanisitc) من الإنسانوية (humanism). الإنسانوية هي نظرة عقلانية أو نظام فكري يعلّق أهمية قصوى على ما هو بشري بدلاً مما هو إلهي أو خارقة للطبيعة (Oxford Languages).

* الرئيس السابق لدير الغريغوريو في الجبل المقدس.

Source: Γέροντας Γεώργιος Καψάνης, Προηγούμενος Ι.Μ. Οσίου Γρηγορίου. Ο Χριστός και το κοινωνικό πρόβλημα. Pemptousia. 10 Οκτωβρίου 2017. https://www.pemptousia.gr/2017/10/o-christos-ke-to-kinoniko-provlima/

التلمذة ليسوع

الخورية سميرة عوض ملكي

إن هـذا المقطـع الإنجيلي ورد ذكـره في الأناجيـل الأربعـة مـع اختلاف طفيـف في السـرد بين إنجيلّي وآخـر. محوره الأساسي دعوة يسوع المسيح للتلاميذ الأربعة الأولين.

مَن يقرأ إنجيل اليوم يجده واضحاً، جلياً، من حيث سير القصة. لكن قد تخطر على بـال القـارئ أسـئلة كثـيرة: لماذا اختار يسوع تلاميذاً ليكونوا معه؟ ولماذا اختارهم صيادي سـمك وكيـف سـيكونون صـيادي النـاس؟ هـل على كل شخص يريد اتّباع يسوع ترك كل شيء حتى الأهل أنفسهم؟

يسوع هنا يدعو التلاميذ الاربعـة الأوّل لكي يصـبحوا صـيادي النـاس. لكن من ثمّ اكمـل العـدد إلى اثـني عشـر تلميذاً أو رسولاً ليكونوا معه، على مثاله، يبشرون بالإنجيـل ويـدعون النـاس إلى التوبـة، وقـد زوّدهم بسـلطانه مكلّفاً اياهم بمهمة إيجاد تلاميذ له وتعميد جميع الأمم. والأهم من هذا كله أن يشـهدوا بـأن المسـيح الـذي قـام من بين الاموات هو يسوع نفسه الذي صاحبوه وعايشوه. وهذه هي الشـهادة الوحيـدة الـتي تطفي على عملهم الرسولي، بالمعنى الاقوى للفظ، طابعه الفريد. وهكذا يصبح الإثنا عشر تلميذاً أساس الكنيسـة، ولهـذا نقـول في دستور إيماننا "وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية".

وبالتالي، يسوع بدعوته للتلاميذ وبقوله "تكونون صيادي الناس" أراد أن يستمر التكليف الرعـائي أو الرسـولي المسلَّم لهم وأن ينتقل إلى سائر العالم. فمنذ البداية مهّد يسـوع نفسُـه الطريـقَ أمـام هـذا الامتـداد حين "عيّن سبعين آخرين وأرسلهم" (لوقا ١:١٠).

أمّا لماذا اختار الرب يسوع صيادين بسطاء ليحوّلهم إلى صيادي الناس ولم يختَر حكمـاء وفلاسـفة فلأنـه أراد ان تظهر قوته الإلهية العاملة فيهم، كما جاء في العهد القديم حين اختـار الله رعـاةَ غنم لـيرعوا شـعبه كموسـى وداود وغيرهما. لأنّ مـا يُطلَب من الانسـان لكي يصـير تلميـذاً لله او للـرب يسـوع، ليس الاسـتعدادات الذهنيـة والفكرية او الأدبية، بل النداء الحر الذي يوجهه له يسوع بكلمة "اتبعْني" الذي يدلّ لفظهـا دائمـاً على الارتبـاط بشخص يسوع.

إن اتّباع التلميـذ لمعلمـه يسـوع ليس كـأي تلميـذ آخـر، فعنـد اليهـود بعـد العـودة من السـبي أصـبحت الشـريعة الموضوع الأول للتعليم، ولهذا دُعيَ المعلمون المكلّفون بهذا التعليم "معلمي الشريعة". غير أنهم أضـافوا شـيئاً فشيئاً سلطتهم الشخصية إلى سلطة الله. وقد كانوا ينفصلون عن معلميهم بعد تفقههم في الشريعة ويصبحون معلمين بدورهم. إن كان تلاميذ المسيح يتميّزون عن تلاميذ اليهود وغيرهم فذلك يرجع إلى أن الله نفسـه هـو الذي يكلّم الناس عن طريـق ابنـه الـذي هـو الحكمـة الالهيـة المتجسـدة وشـرط اتّباعـه يعـني قطـع كـلّ علاقـة

بالماضي قطعاً باتاً والاقتداء بمثاله وسماع تعاليمه ومشاركة المعلم في المصير نفسه مرتبطاً بـه أكـثر من أمّـه وأبيه "تركا الشباك وأباهما وتبعاه".

قد يسيء البعض فهم هذه العبارة. إذ كيف للرب الذي يدعو الى محبـة حتّى الاعـداء أن يـدعونا إلى تـرك أهلنـا وعائلتنا؟ إن أساس هذه الفكرة هو أن لا نحب أحداً أكثر منه. وهكذا يشـير لقب التلميـذ إلى كـل مـؤمن، سـواء عاش في زمن يسوع خلال حياته الارضية وعرفه أو لا، ويكون هو في وضع الاثني عشر انفسهم.

* عن نشرة الكرمة، الأحد الثاني بعد العنصرة ٢٠٢٣

عن أحد جميع القديسين

أسرة التراث الأرثوذكسي

إن خدمة الروح القدس تنير البشرية وتجعلنا قادرين على بلوغ ما هيأ الله لنا أن نناله. القديسون هم الذين أظهروا ثمار الروح بوفرة. " وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ، فَرَحٌ، سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ، لُطْفٌ، صَلاَحٌ، إِيمَانٌ، وَدَاعَةٌ، تَعَفُّفٌ. ضِدَّ أَمْثَالِ هذِهِ لَيْسَ نَامُوسٌ" (غلاطية٥:٢٢-٢٣).

نحن ندرك قداسة الذين جاهدوا ليعيشوا حياة مقدسة، أي ما هو أعلى وأبعد من الحياة المسيحية العادية، من خلال تسميتهم "قديسين". كل المسيحيين هم "قديسون" بمعنى ما، لأن الكلمة تشير أيضاً إلى الفرز. يهتف الكاهن في القداس "القدسات للقديسين"، مباشرة قبل تجزئة الحَمَل[١]، وهذه العبارة تشمل جميع المسيحيين الحقيقيين (المستقيمي الرأي) الذين يجاهدون من أجل الخلاص، ويسكنهم الروح القدس. ولكن عندما نشير إلى "القديسين" في هذا العيد، فإننا نذكر أولئك الذين "جاهدوا الجهاد الحسن وأكملوا السعي وحفظوا الإيمان" (راجع ١ تيموثاوس ٤:٧) أي " تَعِبُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ جَمِيعِهِمْ"(١ كورنثوس ١٥:١٠).

إكرام القديسين

كل الذين يعترفون بالمسيح، من الأرثوذكسيين أو غيرهم، يطلبون بعضهم من بعضٍ الصلاة من أجلهم. من واجب المسيحيين الصلاة لبعضهم. ولأن الأرثوذكسيين يعرفون أن الذين ماتوا ليسوا أمواتاً بمعنى أنهم غير محسوسين، وبما أن "الله هو إله أحياء لا إله أموات"، فإنهم بطبيعة الحال يلجؤون إلى القديسين للتشفع، ويثقون بصلواتهم أكثر من صلوات الإخوة المسيحيين الذين لم ينجزوا إقامتهم الأرضية بعد.

يقارب المسيحي الأرثوذكسي القديسين بتوقير كبير، لأن الله أظهرهم "أكثر من غالبين". نحن نقف في رهبة أمام مآثرهم، وندرك نعمة الله بوضوح في شهادتهم وجهادهم. هذا طبيعي حتى في العالم. فالناس يكرّمون الذين قاموا بأعمال عظيمة، كالقادة الشجعان أو رجال الدولة الحكماء. وبما أننا نشعر بالرهبة أمام القديسين، فإننا نكرمهم بطلب شفاعتهم، أكثر مما نكرّم رجلاً عظيماً في الجسد. في كل تواصل مع القديسين نرى نور المسيح ونفرح به ونكرمه.

شفاعة القديسين

نحن نعلم أن الصلاة للقديسين أو طلب شفاعتهم هو عملٌ مُرْضٍ لله، بحسب شهادة الكتاب المقدس وخبرة الكنيسة الغنية. لأننا على يقين من أن مثل هذه الصلوات مَرْضيَّة، ولأننا ندرك النعمة العظيمة التي منحها الله لقديسيه، فإننا نكون على ثقة كبيرة عندما نطلب شفاعتهم.

يذكر القديس نكتاريوس أسقف المدن الخمس: "الكنيسة، بطلبها شفاعة القديسين، تؤمن بأنهم، وهم الذين يتوسطون إلى الرب من أجل سلام العالم واستقرار كنائس المسيح المقدسة أثناء حياتهم، لا يتوقفون عن ذلك في كنيسة المسيح السماوية الظافرة، وهم يستمعون إلى توسلاتنا التي ندعوهم فيها، ويُصلّون إلى الرب،

ويصبحون حمَلةً لنعمة الرب ورحمته".

ومثله القديس يوحنا كرونشتادت: "يجب أن نقتني الاتحاد الروحي الأكثر حيوية مع السكان السماويين، مع جميع القديسين والرسل والأنبياء والشهداء والأساقفة الموقرين والصالحين، لأنهم جميعاً أعضاء في جسد واحد هو كنيسة المسيح التي ننتمي إليها نحن الخطأة أيضاً، ورأسنا الحي هو الرب يسوع المسيح نفسه. فلهذا ندعوهم في الصلاة، ونتحدث إليهم ونشكرهم ونمدحهم. ومن الضروري جداً أن يتّحد بهم جميع المسيحيين إذا كانوا يرغبون في إحراز تقدم مسيحي؛ لأن القديسين هم أصدقاؤنا ومرشدونا للخلاص، فهم يصلّون ويتشفعون من أجلنا".

غير الأرثوذكسيين والقديسون والشفاعة

هناك الكثير ممن يعلنون الإيمان بالمسيح ولكنهم لا يعرفون شيئاً عن شفاعة القديسين، بل إنهم يتجنبون هذه المعرفة الحميمة والعلاقة السماوية على أنهما تجديف. أسبابهم في ذلك متعددة، منها التحزّب والتحيّز وعدم التجذّر في التقليد المسيحي وسوء فهم الكتاب المقدس وانتهاكات روما تاريخياً، أما السبب الرئيسي فهو الفهم غير التامّ للقيامة ومقتضياتها.

القديسون ليسوا راقدين أو "أمواتاً". ربنا نفسه أعلن بوضوح أن "الله ليس إله أموات، بل إله أحياء" (متى ٢٢:٣٢). فإله إبراهيم وإسحق ويعقوب ظهر متجلياً على جبل وإلى جانبه اثنان من أحبائه وهما على قيد الحياة، موسى وإيليا. هذا يوضح أن "الأموات" ممتلئون بالمعرفة والنشاط حتّى أكثر من الأحياء. فالرسل بطرس ويعقوب ويوحنا لم يتمكنوا من مقاومة النور غير المخلوق الذي انبثق من المسيح، بينما موسى وإيليا كانا يستمتعان به. لذلك لدى القديسين المنتقلين رؤية ومعرفة أعظم، وشفاعتهم أكبر فيما هم خارج أجسادهم مما كان لهم وهم في الجسد. هذا فهم مهم ناتج عن المعرفة الأولية للكنيسة، لكن مَن هم خارجها يفتقدونه.

أسباب هذا النقص في الفهم تعود جزئياً إلى كونهم لا يفهمون أن القديسين أحياء واعون وناشطون، وهذا يؤدّي إلى إساءة تفسير احترام الأرثوذكسيين للقديسين. يعلّق الكثيرون على كلمة "صلاة"، معتقدين أن هذه الكلمة تنطبق فقط على الله، وأي استخدام آخر لها يجب أن يجعلهم يمزقون ثيابهم. وهذا بالطبع سوء فهم نتج عن قرون من الطائفية والتعصب. "الصلاة" هي مجرد "طلب". نطلب من القديسين التشفّع من أجلنا، وأي فحص لكتاباتنا ونصوصنا الليتورجية يظهر أننا نفهم أن العبادة لله وحده.

كان لإساءات روما تاريخياً تأثير ضار على فهم البروتستانت للصلاة للقديسين. بعد الانشقاق الكبير، غرقت روما في الفساد الأخلاقي واللاهوتي. من النتائج اختراع عقيدة "الأعمال الصالحة الإضافية" وبيع صكوك الغفران. هذه العقيدة الزائفة، ربما أكثر من أي إساءة أخرى صدرت عن روما، قد سممت فهم البروتستانت في ما يتعلق بالقديسين. بعبارات بسيطة للغاية، تنصّ هذه العقيدة الخاطئة على ما يلي: هناك حاجة إلى قدر معين من "الأعمال الصالحة" لدخول الملكوت. فلنعتبر جدلاً أنه ألف نقطة. يتجاوز القديسون هذا العدد بكثير، ما يؤمّن لهم نقاطاً إضافية ليوزعوها. أما الخطأة المساكين الذين لا يستطيعون تحقيق كل هذه الأعمال الصالحة فيدفعون للحصول على "الغفران"، مما يزيد مجموع نقاطهم. على الرغم من أن هذا التفسير قد يبدو

سخيفاً وساخراً، إلا أنه في أساس عقيدة روما حتى يومنا هذا. رد فعل البروتستانت الأوائل ضد هذا الانتهاك كان صحيحاً إلى حد ما. عدم فهمهم الصحيح لشفاعات القديسين تطور مع مرور الوقت ليصبح تنصُّلهم من هذه الإساءة اللاتينية صورةً كاريكاتورية للإساءة نفسها، وأصبح معظمهم الآن يرددون تعويذة "لا يحتاج المسيحي إلى وسيط" غير يسوع المسيح، متمسكين بآية واحدة من الكتاب المقدس، دون باقي الكتاب، " لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ" (تيموثاوس ٥:٢)، مفسرينها على أنها تمنع الصلاة للقديسين.

من المفارقات أن الذين يرفضون أن يطلبوا من القديسين التشفع لهم على أسس عقائدية يطلبون من الأحياء، من عائلاتهم وأصدقائهم، أن يصلّوا من أجلهم. إن الصلاة من أجل الآخرين عمل صحيح جداً، إذ إن المؤمنين بطبيعة الحال يصلّون من أجل مَن يحبونهم. لكن، صلاة الأحياء ليست بقوة صلاة القديسين، كما يخبرنا الكتاب المقدس: "طَلِبَةُ الْبَارِّ تَقْتَدِرُ كَثِيرًا فِي فِعْلِهَا" (يعقوب ١٦:٥). لذلك، فإن الذين يقولون أنهم لا يريدون من هو في المرتبة الثانية من حيث الفضل فهم يصلّون "مباشرة إلى الله". في الواقع هم يكتفون بهذا الثاني، عندما يطلبون صلاة إخوتهم الذين لا يزالون يجاهدون ضد الأهواء في الجسد، فيما يرفضون طلب شفاعة مَن انتقل وهو أكثر بِرّاً من الأحياء.

معنى العيد في الكنيسة الأرثوذكسية

يشرح أستاذ الليتورجيا المميّز يوحنا فوندوليس أن دورة الأعياد المتنقّلة التي بدأت بأحد الفريسي والعشار تنتهي بأحد جميع القديسين. في التريودي المهيب والبندكستاري البهيج، قدمت لنا الكنيسة كل عمل التدبير الإلهي المتمحور حول عيد الفصح العظيم. لقد رأينا سقوط الإنسان واستعادة جنسنا بقيامة المسيح. رحّبنا بمجيء المعزي إلى العالم واحتفلنا بميلاد شعب الله الجديد وتنصيب الروح القدس وانسكابه على كل البشر.

يرتبط عيد جميع القديسين، الذي هو ختم ونهاية فترة الأعياد الكبيرة، بالعنصرة ارتباطاً وثيقاً. بعبارة أخرى، هو يأتي كدليل على عمل الكنيسة وقوة الروح القدس في العالم. لأنه يظهِر لنا ثمار ذلك البذار وجنى ما أُرسِل الرسل لحصاده. وكما يلاحظ نيكيفوروس الكسانثوبولي بشكل رائع في سنكسار اليوم: "إن آباءنا الإلهيين أمرونا أن نكمّل هذا العيد بعد انحدار الروح القدس، كأنهم يوضحون لنا بطريقة ما، وهي أن حضور الروح الكلي قدسه قد فعل بواسطة الرسل هذه الأفعال، مقدّساً ومحكّماً الذين هم من عجنتنا، ومقيماً إياهم لكي يملؤوا مرتبة تلك الطغمة الملائكية الساقطة، ومرسلاً إياهم لله بالمسيح، بعضهم بالشهادة والدم وبعضهم بالسيرة المفضّلة والتصرف، وصارت أشياء تفوق الطبيعة. لأنه أما الروح فانحدر بشكل النار، الذي له الميل إلى العلو طبعاً، وأما التراب وعجنتنا فصعدا إلى العلاء، اللذان لهما طبعاً الميل إلى أسفل. أما قبل هنيهة، فإن الجسد المأخوذ لكلمة الله والمتألّه قد ارتفع وجلس عن يمامن المجد الأبوي، وأما الآن فإنه يجذب جميع المؤثرين نظير الوعد (كما وعد)، كأن بهذا أظهر كلمة الله أفعال المصالحة، وما هي الغاية المقصودة من حضوره بالجسد إلينا وتدبيره. وذلك أنه قد يُقتاد إلى محبة الله والاتحاد به الذين كانوا قديماً مَقصين، (أي) الشعب غير المحافظ من الأمم من حيث قُدِّمَت لله الطبيعة البشرية، كبعض النواجم المعتَبَرين فيها (الترجمة

الدقيقة هي باكورتها)، بطريقة سامية. فإذاً لهذا المعنى نعيّد هكذا عيد جميع القديسين".

ويذكر الأستاذ فوندوليس أيضاً أسباباً أخرى لإقامة هذا العيد الجامع. فالعديد من القديسين معروفون ويكرَّمون بالاحتفالات والأعياد، ومع ذلك، هناك كثيرون غيرهم ممن سكن فيهم الروح القدس وتقدسوا ولكنهم مجهولون. لهذا تكرمهم الكنيسة اليوم كما تشير خدمة هذا العيد. ويشير الأستاذ نفسه إلى سبب ثالث وارد في السنكسار؛ وهو وجوب أن يجتمع جميع القديسين الذين يُكرّمون بشكل منفصل في وليمة مشتركة ليُظهروا أنهم جميعاً جاهدوا معاً من أجل مسيح واحد في ساحة الفضيلة المسيحية المشتركة، وكانوا خداماً لإله واحد ومنه استحقوا أكاليل النصر. فبهذا يكون العيد الجامع دافعاً مشتركاً للمؤمنين الذين يشاركونهم الإيمان بالمسيح نفسه وخدمة الإله نفسه وهم يجاهدون مثلهم على نفس المسار بحسب المسيح. فعليه، يعطيهم هذا العيد رجاءً في أن يكتسبوا مجد هؤلاء الذين انتصروا في الماضي وأن يكون هذا العيد غداً عيدهم، عندما تباركهم نعمة الله فيُدعون إلى احتفال الانتصار المبارك في الكنيسة السماوية. إن أبناء الكنيسة يعيشون على هذا الرجاء.

[١] الحَمَل هو الجزء الأوسط من قطعة قربان التقدمة، الذي يقتطعه الكاهن ويضعه في وسط الصينية. يعلِن الكاهن "القدسات للقديسين" وهو يحمل الحَمَل بأصابعه. من ثمّ يعيده إلى مكانه فيقول الشماس "جزّء يا سيد" أي قطّعه. فيقسّم الكاهن الحَمَل إلى أربعة أجزاء ويضعها على الصينية بشكل صليب. من ثم يتناول ويناول الشعب منها.

المراجع

[1] Ιωάννου Φουντούλη. “Κυριακή των Αγίων Πάντων: Παρακλητικός Κανών, Χαιρετισμοί, Ικετήριος Κανών”. Λογική Λατρεία. εκδ. Αποστολικής Διακονίας. Αθήνα 1984.

[٢] بندكستاريون. سنكسار أحد جميع القديسين. ص. ٢٥٠.

[3] π. Φιλοθέου Ζερβάκου. Όσιος Φιλόθεος της Πάρου, 29, Εκδ. Ορθόδοξος Κυψέλη, σελ. 21. Ομιλία στον Ι. Ναό των Αγίων Πάντων της Πάρου το 1965. https://alopsis.gr/για-την-κυριακή-των-αγίων-πάντων-γέρον/

[4] Questions About The Sunday of All Saints.
https://www.orthodox.net/questions/sunday_of_all_saints_1.html

[5] Σεβ. Μητροπολίτου Ναυπάκτου και Αγίου Βλασίου Ιεροθέου. Ιερά Παράδοση και παραδόσεις. Εκκλησιαστικη Παρεμβαση. Τεῦχος 154 - Μάϊος 2009.